

مذكرات لا ذكريات



رؤوف بن الجودي

الكتاب: مذكرات لا ذكريات

الكاتب: رؤوف بن الجودي

البلد: الجزائر

رقم الهاتف: +213661209723

البريد الإلكتروني: mech.raouf@hotmail.com

إلى روح شيخ العربية ..

أبو فهر محمود شـاكر..

إلى فتاة قصائدي ..

من تجمع بين لطافة أمي وملامح الموناليزا الكئيبة ..

إلى كل مثدوق للأدب .

بقلم

رؤوف بن الجودي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ما جرّني لأكتب هذا الكتاب، وإن كان كتابا يحكي الأحداث ليس كما تُناقشها كتب التاريخ (لأن كتب التاريخ تحتاج إلى حالة تأهب قصوى وليس الحال بالنسبة لنا)، وإنّما كما يرويها من شاهد وعين الحادثة لا غير، فلنقل أنّ الكتاب ما أُلّف إلاّ ليُستأنس به فيما يجري وما جرى على حدّ سواء. فلتسمي كتابي صيد خاطر، أو خوالج النفس، لكي لا يكون حكمك عليّ قاسيا، بعد الفراغ من قراءته، فلکم أحبّ أن يبصم الكاتب في كتابه، وتكون له روتوشاته ولمساته الخاصة، ويبسط بين هذا وذاك نظرتَه واستنباطه، بعد التحقيق والتنقيب العميقين، فيجليّ لقراءه ما كان عندهم مبهما، ويكشف لهم، ما كان مستورا، على بينة وبصيرة لا يتخللها شك ولا ريبة. وأنا مهما بلغ بي الأمر فلن أتعدى أن أكون مصنف كلمات وأفكار، لأضعها للقارئ في قالب فكاهي تارة، و في قالب جدّي تارة أخرى، على

حسب ما تقتضيه الضرورة و الظرف، ولا تنتظر مئّي أن أخلع ديني وعقيدتي،
إبان الكتابة والاستلهام، فهما -العقيدة والدين- كاللبشرة للجسم، إذا سلختها، رأيت
مخلوقا آخر غير بني البشر، فأنا متى رحلت وارتحلت بفكري ومخيلتي، لا أخطو
خطوة إلا وخير الزاد زادي ولا أرضى بدونه زادا، إلا إذا رضيت أن أنسلخ من
بشرتي كحبة الوادي !!

ها أنا لم أخرج من مقدمة كتابي، حتى سمعت للقلم شقيها وزفيرا، ولهاثا، كأنه
طريدة لفهد مفترس، وما أحسبه إلا عياء ومشقة الكتابة، فلم يتعود-هذا القلم- على
طول المسير، ولا على السفر لمسافات بعيدة كهذه، ولا هو تعود السفر بدون
خارطة، معلّم عليها مسار الرحلة، بمحطاتها المترامية، و بلا بدون بوصلة تدفع عنه
التيه والضلال.

و ما عساه أن يفعل هذا القلم وهو أسير بين ثلاثة أصابع توجهه، حيثما تريد، وتقلبه
وتعبت به كيفما تشاء، فهو ليس إلا كجنديّ الذي ينصاع للأوامر، فينفذ ويلتزم ..
وليس بعد هذا إلا السجن والعقوبة، والأقلام لهذه المهمة كثيرة لتنال شرف الكتابة،
وخوض غمار هذه الرحلة الشيّقة، رحلة "البحث عن الذات" وتدوين "المذكرات".

لم يكن هذا عهدي بك فلقد أبعدت بك الرحلة، وانحرفتُ بك عن موضوعها،
فحديثي يستجذبك إلى شعاع يتراءى لك من ثقب باب المعاني، فما إن تفتح الباب
على معنى ما، حتى تُفتن بجزمة من الأشعة لمعاني أجمل وأجلّ، فتسحبك وقد
غشتك بسحرها و بهرجها، فتقيم في رياض الكلام ما تقيم، ولا تُزال عنك الغشاوة
حتى يزول عنك آخر أثر لتلك الطلاسم، فتفطن لتجد فكرك قد بُعدَ عن الدرب
بفراسخ، وهذا حالي وحال من أصبح الأدب يسري في دمه بدل الشرايين،
وأصبحت الكلمات طبقة الرئيسي بدل الثريد.

ولما كان مستقبعا من كل وجه، ترك الحوادث تمر بدون تقييد، وتتوالى بدون
تدوين، كان الحريّ أن يكون لكل كاتب مذكرته الخاصة، يضع فيها ما علق بشرك
الخاطر، فلا يأتي بكل التفاصيل على وجهها فثبتدل، بل يكتفي بسرد الأهم والمهم
فقط لا غير، وأن يُضفي عليها طابعا فكاها، و يخرجها في قالب مشوق، كما تقتضيه
هذه الكتابة عند أهل الصنعة.

فلما كان للهمة وجهان، وجهها شحذته لخوض غمار الكتابة، فتراه يراقا لامعا بتّارا ممتّدا،
ووجهها سخزته لصدأ الكسل ونوم الصبحة فلا تراه بالمنظر الأول من البريق

واللمعان، فالصدأ قد إلتهم وجهه فلم يترك فيه موضعا إلا و وأمرّ عليه صديده، لذا تراني في فقرة ما نشيطا أواكب -إبان الكتابة- غزلان البراري، فأتي بالمعني فأقيمه على أصوله و أجتهد فيه ولعلّي أصيب، و تراني تارة أخرى خاملا كسولا تجرّ الحروف بعضها في موكب حزن وأسى فأخرج المعنى من أجداث الفهاهة (عكس الفصاحة) معوجّ القامة، مضطربا، مهّدّم المبنى، عليه سيّات الإرهاق والعياء، فإن كانت لي حسنة في الأولى فاخترتها بالسيئة تنالني في الثانية، وكن منصفا فلا ترى مّي الخطأ فتذيعه وترى من الصواب فتكتمه، فهذا سيكون ظلما لا أرتضيه لنفسي ولا لغيري.

أين الشاهد..

تمرّ الأيام مر السحاب، ويُطوى العمر طيّ الكتاب، فيشهد هذا وذاك،
ومن لنا كشاهد غير ما يلصق بالذاكرة من فئات الأحداث، ومن ذرو (وهو
مستصغر الغبار) الملابس، إمّا عجزاً أو كسلاً أو استخفافاً أو إستهتاراً، فنظّم
بذلك أنفسنا و التاريخ جميعاً، فلندع الكلام عن النفس جانبا فهي الجانية المجنيّ
عليها- فمتى أُلقيت عليها التهمة، فلا مناص إلا أن تقتصّ من نفسها، فيكون قصاصها
بمثابة الانتحار !!

فلنخُص في الكلام عن التاريخ الذي هو ذاكرة الأمة، والأساس الذي يُبنى عليه
صرح الحاضر والمستقبل، فظلمه ليس كظلم أحدٍ، لأنه ظلمٌ متعدّد، سيصيب كل
الأجيال التي هي قيد الإنشاء (أو ما يسمّى بالنشء) أو الأجيال التي ستأتي، فمن
ذا الذي سيقبل أن تُستأصل جذوره و يُجثث منبته و يُقتلع أصله و يُلقى بهم جملة
في غياهب جيّ الجهالة، فلما يأتي (هذا الجيل) إلى الدنيا، فيعقل ما يعقل من أمور
دنياه، فسيجد نفسه خلقاً جديداً، لا يعرف لماضيه لا إسماً ولا لونا ولا طعاماً ولا

رائحة، سوى صدى وسراب وأساطير وسماهير، تتلقاها الألسن فتلوها كالعلكة حتى تُقضى حلاوتها، فتبصقها مطاطا لا سكر فيه، ويلحن فيها من يلحن فيها، ويزيد فيها من يزيد منمرجات ودوائر، و توابل وخمائر، ليقدّمها لجيل لا علم له ولا قياس ولا ذوق ولا إحساس، فيقبلها قبولا حسنا، ويتناولها تناولا حسنا، غير آبه بلونها وطعمها ورائحتها، المهم حينئذ أن إسمها تاريخ !!

ومن سيوحى لهذا الجيل أن يسأل: أنى لك هذا؟ و هذا شيء طبيعي ومنطقي للغاية، فلم يعرف لون وطعم ورائحة التاريخ الحقيقي لكي يقارن ويوازن بينه وبين التاريخ المزيف، بل اكتفى بما لديه من أدلة قاطعة، تطابق الأسماء !!

لن ألوم هذا الجيل إذا كان قد قصرّ الجيل الذي قبله، ولن ألوم الجيل الذي قبله إذا قصر سلفه قط، فتلك سلسلة كحبات العقد إذا انفرطت أول حبة لؤلؤ، تناثرت باقي الحبات لا اقتداءً بأول حبة بل لأن ليس هنالك ما يمسك العقد ويكبح انفراطه.

وهل انفرط العقد حقا..؟؟

مالي ولهذا السؤال، الذي لو اطلع عليه مؤرخو الإسلام من بكرة أبيهم، لوبَّخوني ولَطَمَسُوا لِسَانِي وَلَفَقَّوْا عَيْنِي جَزَاءً وَفَاقًا عَلَى جِرَاتِي وَصَفَاقَتِي..

لم ولن ينفرط العقد لأنَّ أُمَّتَنَا هي أُمَّة مسددة، وأُمَّة ملهمة، وأُمَّة محفوظة، ما حَفِظَتْ دِينَهَا وَسَلِمَتْ لَهَا عَقَائِدُهَا.

قال الله تعالى: **"إِنَّا أَنْزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ"**

قال الله تعالى: **"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ"**

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَا تَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ"**

وقد سطع نجومٌّ، رَصَّعُوا أَفْقَ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ والعَرَبِيِّ، بَكْتَبِ مَوْسُوعِيَّةٍ، انْتَشَرَ بِرَيْقِهَا فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الأَرْضِ، كَتَبَتْ مَحْكَمَةَ الإِسْنَادِ، مَتَقَنَةَ التَّأْلِيفِ، وَاسِعَةَ المَادَّةِ، مَنْتَقَاةَ الحَوَادِثِ وَ مَصْفَاةَ الوُقَائِعِ، لَا يَشُوبُهَا زَيْفٌ وَلَا زَيْغٌ وَلَا أَهْوَاءٌ وَلَا عَصَبِيَّاتٍ وَلَا تَسْرِعٌ (وتلك أوصاف تمسح المؤرخ من لائحة المؤرخين لتلقي به إلى سلة المهملات).

وها أنا أضع اعترافاً رسمياً، بخط قلبي، أقول فيه - وأتمنى على نفسي الأمانى-، أنني لو كنت أملك قلاماً قلم أحد هؤلاء الأعلام بل وأهونهم علماً، لنفخت نفسي كالبالون، وأوهمتها بالمكانة المرموقة، والعلم المستفيض، ولكتبت ما حدث ويحدث، لأبرىئ ذمتي أمام جيلٍ سيأتي وربما أتى .. لكن هيهات.. فأنا دون الدون .. فهل من سيّارة تلتقطني من غيابات الحب !!

ومرت الأيام، وتتابع العقود، و وَهَنَ هذا العلم وبهت، وخارت همم طالبيه، ونزلت بهم نوازل الكسل والخمول والفتور والذبول، والأمة الإسلامية -يُستباح عرضها، وتُنتهك حرمتها، وتُطعن في خاصرتها، بخناجر تحمل بصمات أعدائنا وأدعيائنا معا !!

ولا أحد يسجل للتاريخ، الحقائق والأحداث، والمصائب والنكبات، والفتوحات والانتصارات، والحلو والمرّ جميعاً. ولا أستبعد أن تكون هنالك محاولات ونيات حسنة في التأليف، لكن تبقى محاولات ترى الأحداث من زاوية ضيقة، مكاناً وزماناً، فتقصر عندئذ (المؤلفات) على إرواء الظمّي وإشباع النهم، ولا تصلح كسندٍ يُستدعى كشاهدٍ على هذا العصر والذي قبّله، إلا أن يأتي بها المؤرخ بعد قرنٍ أو

قرنين ليسد بها موضع إصبعٍ في جسدٍ عارٍ من ثقافة أسلافه، فمن سيستُرُّ العورات يومئذ.

فهذا هو الشاهد، "التاريخ" أو بالأحرى "كتابة التاريخ"، صغيرة وكبيره، ولا تحقرن صغيرة فإنّ موسوعة التاريخ من حصا الحوادث..

شبيء من سوادي

أعتذر لنصفي الأبيض، لما يقترفه نصفي الأسود، وقد عهدت لهذا الأخير بقيادة نفسي وكبح هواها وتقييد ملاذها ومتاعها، و توجيهها توجيهها حسنا، فكان إليه المنتهى في التصرف والقرار، فساقني إلى المهالك و ما طفقت أخرج من هم حتى يولجني في هم أعظم وأكبر، ويوهمني بأنّ التعاسة قدرتي، وأن السعادة ما هي إلا تسلية يستعملها الكتاب ليختمون بها القصص الغرامية ويثثوا بها الأمل في قلوب القراء فيتخدرون. وصنع لي من طينة الهوى إله، صدني عن سماع ما كان يخالجنني به ضميري، و من رؤية الهدى الذي كان يرشدني إليه برهاني، وغشاني حتى أصبح التيه السراط المستقيم الذي لا حيدة عنه !!

فعلت همتي في اقتراف الآثام وارتكاب المعاصي، وفترت بالمقابل عن حبّ الخيرات، واكتسح سوادي، مساحات البياض في داخلي، حتى أجهز عليها، وما تبقى منها سوى بقع متناهية في الصغر، تجأر إلى الله أن ينقذها من زحف السواد الحالك.. فعثت في نفسي فسادا، أظخ صفحة قلبي وروحي بدران السيئات، لا أراعي إلاّ

ولا ذمّة، حتى صار لتلك السيّئات ذفرا كذفر الموتى المفتحة أجدانهم، بعد استدارة
لرحى الزمان، لا يستشعر ريحها إلا النبيه الحاذق.. !!

وركبْتُ مَرَكِبَ السُّوءِ والمنكر، و سِرْتُ في منعرجاتٍ ودوائرٍ مدلهمة، يغشاني
ديجوره (السوء) من كل صوب، حتى بوصلة التمييز بداخلي تعطلت و أصبحت
تُشير إلى اتجاهات التهلكة، وتَقودني إلى مصائد الشيطان، فما أن أفيقُ من لَذّة
حتى أغرق في لَذّة أخرى، وأنا في تلك الحالة من الثمالة التي لا تنقطع، ومن
النكبات المتتالية التي لا تنفصم، لا أكادُ أشعرُ بجوارحي، وكأنها فقدت السيطرة
عليها، فهي تُسيرني من جهاتٍ خارجية، قُوّة قاهرة، وسلطة جبّارة، تُحركني كدمية
الأراقوز، بخيوط رفيعة لا أكاد أراها.

فتاة قصائدي: خلاصة كل النساء

لكلِّ منّا فتاة أحلامه، وأنا لي فتاة قصائدي، لطالما كنت أحلمُ وأنا أكتب، فلا أستيقظ إلا وقد أنهيت القصيدة.

فلا تستغرب إذا وجدت لقصائدي كلّها نفس الطعم ونفس الرائحة، فهي لامرأة واحدة، هي لفتاة قصائدي. هذه المرأة المغموسة في يمّ من الدلال و الترف، ترتدي كل يوم وزنا جديدا، وتضع كل حين قافية جديدة. ولا تستغرب أن تراني أتصبب عرقا وأنا أكتب عنها، فهي تستهلك طاقتي الشعرية كلها في البيت الواحد والبيتين، و ترهق خام حربي حد اللهاث، فلا أنهي قصيدي إلا وقد خارت قواي، فأستيقظ من حلم الكتابة لأخلد إلى كابوس النوم ..

وأنا في غفلي النعاسية، لا آتخسّر على ما فرطت في جفوتها !

أنام لتغفو عيني ويرتاح جسدي، و تسهرُ هي على أمل كتابة قصيدة جديدة، فهذا لعمرى إن لم يكن بخلا شعريا فهو لا يخرج عن كونه جفاء عاطفي.

صدقوني، فلست أتكلم عن امرأة معروفة العين.

فكما أجهل اسمها، ورسمها، ولون عينيها، وطريقة تداخل ضفائرها، وشكل و صبغة
أظافرها، فإنّي أجهل عنوانها في بساتين الورد أين تتخفى النسوة وراء العطور
والألوان الزاهية...

كل ما عقلته عنها أنّها امرأة بمساحة قلبي، تسعّه بحنانها ولطفها من جهة، و بمكرها
وحيلتها من جهة أخرى. فجمالها العذريّ يملأ فضاء بصري، وما روحها إلا مسقط
روحي ووعاؤها، وكلماتها ما هي إلا طرب أذني وغداؤها. فإلى أين سأفترّ و هي
تنتشر في ربوعي كأجراس الإنذار، تسد عليّ كل منافذ الفرار بتفكري فيها، خارج
نطاق جبروتها و خارج أسوار القصيدة.

سأقف ها هنا دقيقة صمت، أسترجع أنفاسي الشعرية، لأكتب من جديد عن فتاة
قصائدي أكتب عنها هي فقط هي.

سألتهن القواميس، بنهم ربما!، و أُوخزُ عروقي بحقن من دواوين الفحول من الشعراء، ربما، ليسري البيان في كل عروقي فأنبض شعرا لقصيدتي و أندفق شعورا و شوقا لـ فتاة قصائدي.

كل النساء، تمدحنّ بالقصيدة، فما إن تلبسها القصيدة حتى تكتشف بأنّها واسعة بحيث تجر أذيالها وراءها، إلا فتاة قصائدي أصفها بالقصيدة فتكون على مقاسها لا تزيد ولا تنقص.

فأنا أنظر إليها بقلبي، ولا أجد وصفها سوى في قاموس من قواميس الجئة.

فلو نظرتُ إليها بعيني، لفرت هذه العين من محجرها إلى منفي العماء، فتجدني عندها أتلمس مؤخرة رأسي، باحثا عن وسادة الريش، و أتلمس ظهري منقبا على فراشي، فأتيقن أنه ليس مجرد حلم بقدر ما هو وجه الحقيقة المتبرج بأنواع المساحيق الفاتنة، فأعود لأتلمس رأسي تارة أخرى لأتكد أنه ما طار ممّي من فرط ما رأيت.

فكثيرا ما أكره نفسي على النظم، عسى أن أحظى بلقاءها، صعبٌ أن تكتب عن امرأة ترتدي معاني الكلمات، وتنام ما بين السطور، على أرجوحة تتأرجح بين

الشطّر والعجز. فما أشبه طنين القوافي، بقرع خلخالها، و هي ترقص على خيوط تفكيرى، تارة، وتارة أخرى زاحفة على بطنها كالأفعى تراودي إلهامى بل تفتسه وتهده، أن يبتكر معان جديدة، تستوفي وصفها! و قد يحيل إلى أنّ هذه الفتاة حورية تسبح في بحيرة دواتي، فتجدي أعلق في صنّارة قلبي طعم المعنى المغربي، لأصطاد انتباهها، وليس كصنارة سوى هذا القلم، وليس لي كخيوط سوى خيط إلهامى..

كل محبّ يملك صورة لحيبه، فيخرجها من درج الذكرى ليلصقها على جدران مخيلته ساعة من الزمن، و قد يخفيها تحت الوسادة كي تزوره صورته في منامه، إلا أنا فقد أرحت قلبي من عناء الاستخباء، فألصقت قصيدتي تحت جفوني، لأرى فتاة قصائدي كلما أغمضت جفني!

-تسألني فتاة قصائدي في استحياء يوارى مكرها:

"لو كنت ماجنا بما تصفني؟؟"

قلت:

"وأنت تنغمسين في محيط الكلمات خالعة كل أثواب الكبر والحياء، تتلقفك حروف
كلماتي لتغرقك في ظلمة الخلوة، فأبعث بأناملي رسولا ليعبث بتقاسيم وجهك
الوضاء، فآتمس نورا يضيء وحشتي، لأعرف الكتابة في وضعي هذا"

استجمعت أنفاسها وأزالت قناع حياءها وراحت بمكرها المعتاد تضيق، فتسأل:

"وأنت العفيف ماذا تجدني؟؟"

-قلت والبسمة لا تفارق محيبي:

"أنظرك بقلبي لهذا فوصفك شيء لا يدرك، فالقلب لا ينهر بالألوان انبهاره
بالمشاعر، ولا بالأشكال انبهاره بالعواطف. وتلك أشياء لا تعرف الثبات، فكثيرا
ما يتعرض القلب لمواقف كالوصل والهجر والفرح والجزع والوفاء والخيانة، فيكون
مردود الإحساس والعواطف فيه بمقدار ما يكابد من هذه المواقف"

قالت وقد خار مكرها:

وهل يفتر حبك إذا وقفت أحد تلك المواقف؟؟"

قلت لها و قد استرخيت:

"الحب سرطان لا يُعرف برؤهُ، قد يزيد ولكن مستحيل أن يرجع أدراجا للوراء،

هل أرضيت غرورك؟؟"

قالت:

"نعم ، ولن أستعمل حيلتي بعد الآن فلقد أثبتتُ إخفاقها أمام مكر ودهاء

سذاجتك.

الطوح : بين سمادير الأحلام و صدمات الواقع !!

يولد الإنسان في هذه الدنيا ورقة بيضاء، لا يشوبها كدرٌ ولا يعتريها دنس؛ ففي تلك السن المبكرة يتحرك وفقا لقانون الغرائز والمنعكسات؛ ليبقى كذلك إلى يبدأ يعقلُ الأشياء، فيفرق عندها بين الخير والشر والضرار والنافع والحسن والسيء من الأشياء، وتكون معرفة التباين بين هذه الأشياء بقدر قوة المعلم الذي علمه وبقدر تأثير المحيط الخارجي عليه سلبا و إيجابا.

فتبدأ تتكون لديه ثلاث أمور : شخصيته، مبادئه و عقيدته.

فتظهر شخصيته من خلال المواقف التي يتعرض لها في مسلسل الحياة فتكسبه تلك المواقف تجاربا هي النتيجة الحتمية لكل عمل أقدم على فعله.

أما المبادئ فهي الأساسيات التي تقوم في النفس مقام الدستور في الدولة، فهو مؤسسه لتكون الرادع لأي خلل أو تجاوز؛ ولا تكون قوة تمسك المرء بمبادئه سوى بقدر قوة وضعف كل من العاملين : شخصيته واعتقاده.

أما العقيدة (في الإطار العام) هي تلك المُسلّمات التي ترسمها الحياة في قلب كل إنسان ، وهي -على غرار المبادئ- قابلة للتغيير بحكم الدليل ليثبت صحتها أو بطلانها.

إلى جانب كل هذا يوجد عنصر رابع ، هو ذاته العنصر الذي يرفع من هذه الثلاثة التي ذكرنا أو يحطّها وهو الميدا الفسيح الذي يسمى ":-"المعرفة" التي هي غذاء العقل ومصل القلب ووقود الروح.

ولا يُعقل من امرء -مهما كان دينه أو لونه أو منبته- أن يقبل على ميدان -إمّا علما أو متعلما- وليس في صدره تلك الشعلة التي تُدعى "الطموح". فالطموح هو من يجرر المرء إلى أهدافه جرّا لينال المكافأة والمنصب والذكر الحسن؛ فالإنسان الذي لا طموح له إنسان هالك لا محالة، هو -في الدنيا- مجرد عنصر ماص أو بالأحرى صفر على اليسار لا قيمة له، فقد قيل "قيمة كل امرء فيما كان يُحسّنه" وأقول غير متلجلج مضيفا إلى ذلك القول البليغ: "وقيمته أيضا فيما يصبو هو إليه."

فالطموح للأحسن مهمة و سبيل كل انسان في هذه الحياة، فهو يرتكز على أشياء
عدّة تحفظ ديمومته واستمراره، كأن يكون الإنسان مفعماً بالأمل، وأن تكون عقيدته
صحيحة في أن يصل إلى ما يصبو إليه، وأن يثق فيما يفعل ومع من يتعامل، و أن
يصبر على الأذى فيما يقدم من جديد أو يصلح من قديم، وأن يستفيد من كل
محاولة فاشلة ويسميها تجربة و يعود ليحاول من جديد .. لا يخلو أي ميدان من
العراقيل، وقد يؤتى المرء من الظروف كما قد يؤتى من الناس وفي كلاهما يشكل
العجر عن تحقيق المراد عائقاً، وليس شيء أعتى من كل ما ذكرنا من المثبطات
كالعزيمة الفلاذية، فقد قيل "العواصف تقتلع الأشجار السامقة وتداعب الأعشاب"
فكم مرنا في قراع الخطوب، و مواكبة المشاكل ولا تياس، فاحتمال الفشل وارد
واحتمال النجاح كذل وارد، لكن قبل المحاولة هذه الحسابات ما هي إلا ضربة
لازب؛ فما دام الفشل على أقصى تقدير هو لبنة صلبه يبني عليها جسر النجاح،
فسأفشل قدر المستطاع فقط لأزيل عني كل احتمالات الخطأ، ولن يبقى بعدها
سوى احتمال واحد و وحيد "النجاح المؤكد".

وأختم بقول أمرء القيس إذ خاطب صاحبه الذي يئس من النصر يازاء غزو قيصر
:

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه = وأيقن بأننا لا حقين بقيصرا

فقلتُ له لا تبكٍ عينك إئما = نحاول مُلكا أو نموت فنُعذرا

• • •

أنا، أفتقر لست أفتخر !!

من يرى حالي وأنا أدافع نفسي عن الغيِّ، فلا أقوى على ردعها ..

من يرى حالي سيفهم المعاناة التي أعانيها في مواكبة هذه الحياة الفاسدة من كل صوب؛ وما أراه سمي جهاد النفس بالجهاد الأكبر إلا لأنه من العسر بمكان، وأنه تلك النفس التي أسكنت هذا الجسد المنهك، بها الغرائز والنزوات تأزُّ الإنسان أزا، فتُقلِّبُ مضجعه و ترسل في فكره هواجس على شكل صور مُعرية فيُصدقها هذا الجسد أو يكذبها ..

وفي ظل الواقع الراهن، أين تكاد الفتنة تمشي بين الناس على قوائم، عارية من أثواب التستر مرسلة جنودها، تلتقطُ الغاوين وأصحاب القلوب الضعيفة، تلتقطهم فنصرَعهم لتُدخلهم في صفوفها و تسرهم كما تشاء و تعبثُ بهم كما تشاء وتنال من طهرهم نقابهم كما تشاء وكيفما تشاء.

فأنت ترى هذه العين (أو رسول القلب كما يُقال)، قد خرج عن المعهود وراحت تلتقطُ صوراً هنا وهناك ، ترسلُ بها إلى القلب لتُفسدَهُ، وترها تتحركُ في محجرها لا تكاد تثبتُ في مكان؛ --- عن مخلفات تلك الفتنة لترع سمومها في هذا الجسد البالي، فستعبده الشهوة و تطؤه وتدوسُهُ ..

فمن طول الأمل، وخفوتِ الإيمان في القلب، يُؤتى المرء من قِبَل نفسه، ولو نَهَاها عن الباطل و شغلها بالحق، لما انحرفت به في مزالق ومدارج الهلاك، ولما قام في خالجه هذا الشعور بلا رجعة والإحساس بالانهزام و الانكسار اللامتناهيين.

هل للحب عيد؟

أمضيتُ سنواتٍ عديدةٍ و أنا أتزهُ بين دواوين الشعر، وكتب الأدب؛ أصقل-من خلال ما أقرأ- قريحتي الأدبية والشعرية معا، وأتطلعُ على تاريخ الأدب في عصوره الذهبية وغير الذهبية، من شعراء جاهليين و أمويين وعباسيين...مرورا بشُعراء الموشح، وصولا إلى الشعراء المُحدثين، واقفا على ما أَلْفُوهُ من العصر الجاهلي إلى يوم الناس هذا.

فرايتُ أنّ للغزل في هذا التاريخ الأدبي الزاخر، نصيبا مفروضا، كحظِّ الأسدِ أو أكثر؛ ولعلَّ أساطير العُشاق لولا الشعر لاندثرت، ودخلت في طيِّ النسيان ولم يبق لذكرها صيت!

فكيف لنا أن ننسى مجنون ليلي "قيسا" و مجنون عبلة "عنتره بن شدّاد"، و جميلا و مسلما "صريع الغواني" و غيرهم ممن اشتهروا بالعشق وأدوائه، فعلى رغم ما كانوا فيه من وجد و هيام متراحب، وشوق و صباة حالقة، لم نسمع فيما نُقِلَ إلينا من شعرهم أنهم أثبتوا أنّ للحب عيد!!

حتى أتت هذه السنوات الخداعات، فسمعنا الترهات و رأينا الخزعبلات و تفرحنا على الشطحات، و صفقنا على ضياع الهوية إثر ضياع الثقافة، و نالنا من الإبتكاس و المذلة ما الله به عليم؛ فخرج من بيننا من يحتفل بأعياد ليست أعيادنا، و ليست كأعيادنا في شيء، لا في التوقيت لها، و لا في طريقة الإحتفال بها، فلا تتفق مع ديننا فضلا أن تتفق مع عاداتنا و لا تقاليدنا و تاريخنا.

"سان فالنتان" أو ما ترجموه زورا بـ"عيد الحب"، و هي ترجمة مقصودة، ففي التسمية الأولى نكهة النصرانية في طابعها العصبي القبلي المطبق؛ و في التسمية الثانية طابع العالمية، فاختر ما تشاء من الإسماء فالمسمى واحد.

ولست هنا بصدد الرد على الغرب إذ أحدثوا ما أحدثوا، من أعياد لا ناقة لنا فيها و لا جمل، بل نحن بصدد الرد على بني جلدتنا الذين يتكلمون بألسنتنا، الذين باعوا دينهم و ثقافتهم و لغتهم بعرض من الدنيا قليل!!!

و لا يعني هنا أن أسرد قصة بداية الإحتفال بهذا العيد، بقدر ما يهمني متى و كيف تفشى هذا الداء بيننا، و بث سمومه في جسد الأمة، و لم يُسمع سحيجا حتى؛ بدأت

الطامة بالاحتفال بعيد رأس السنة النصرانية، ومضت الأمة الإسلامية في ضلالها حتى أصبح العيد عيدنا، والصليب صليبنا، ولن أسرد عليك ما يحدث في ليلة الاحتفال لكي لا أنجس هذا المكان الطاهر من المقال!!!

قلت: يا بنو جلدتنا، هل يُعقل - ولو جدلا- أن ترى نصرانيا يعمل من دينه وعقيدته في النصرانية، ما يعلم المسلم في دينه وعقيدته الإسلامية؛ أن يقبل على الاحتفال بعيد من أعياد المسلم و يتقرب بالنحر والزكاة و الشعائر الدينية الإسلامية! هل هذا معقول، يا أولى الألباب!

هذا من جهة التقليد، ومن جهة رأي الشريعة الصحيح، فإن للمسلم عيدان لا ثالث لهما: عيد الفطر وعيد الأضحى؛ ففيهما القدر الكافي، وما أحدث من بعد فليس من الشرع والدين في شيء، "إن هي أسماءٌ سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان"، أفلا أطرح على من عنده بقية عقلٍ: هل حقا للحب عيد؟

وهل نحتاج إلى يوم معين لنشعر من نحب أننا نحبه، أليس هذا بخلا عاطفيا؟ أليست هذه أنانية الإحساس؟؟

وهل تخصيص هذا اليوم بالهدايا، سينزل البركة و يرسى المحب كما هي في غيرها
من الأيام؟ أم أنّها تحت اشراف ذلك القس "فالنتان"؟؟

• • •

عشقٌ في درجة الغليان

كُنْتُ هنا ، وكانت هنا ، كُنَّا جسدا واحدا ، نبض في قلب واحد ، ونبض في رئة واحدة ، ونقسم المهام بيننا نصفين ، نبضة لها ونبضة لي ، والشهيق لها ولي الزفير ، كان تدخلني أكسجين عواطف وأخرجها كربون غريزة ملتهبة.

كانت في رونق وأبهة ، ليس عليها سوى ثوبِ الأنوثة، حاولتُ يائسا أن أغمض جفني كي أتخاشى هذا الجبروت التي يحاول أن يسترلني، لكن أخفقت! فصورتها تشبثت بشبكيته تلهجُ بالبقاء. حال هذا الجمال بيني وبين قلبي، ووقفتُ هذه الفتنة تجرُّ شعوري، تكسرُ كل كبرياء فيّ، فتنة خدرت جوارحي لأصير لهذا المصير المحتوم، لأخضع لسلطان الهوى.

تمردت أصابعي ، تحت إمرة يدي لتخرج عن طوعي ، وتدخل في سلطان ، فتعانق يدي يدها لكنه ليس كالعناق ، بل كالقبلة ، وإني لأجد حرارة كأنّ اللمسة ما كانت لمسة ، بل شرارة ولدت الانصهار.

أدركتُ أنّي سأقيمُ في سجنِ عينيها الليلة، وراء قضبانِ هذه الرموش التي تدغدغُ
بساتين الورد في خدي الخجول؛ سأقيم في سجنِ عينيها الليلة، و سأخريش على
جدرانه قصة رحيل قلبي إلى قصر فؤادها.

كانت هنا، تراقبُ أشواقِي وهي تستعزُّ!

كانت هنا، تحرصُ قلبي المتمرد على سلطاني على أن لا يعود إلى صدري! تعزُّزُ
الحرس من حوله كلما قل نبضُهُ، أو غفا غفوة من الإرهاق ، فحبها شاق لدرجة
المستحيل!

كانت هنا، تُرسلُ ضفائرَها لتشنقُ غريزتي، لتجعل قلبي ينظرُها أنثى مرتدية جمالها
لا جمالَ مرتدٍ أنثاهُ، لأعشقها فكرة نبرة وعطرا، لا جسدا وشهوة وغريزة.

تراثنا، ماذا صنعنا به !

لما نتقّف ماثلا متدبرا خلف نافذة التاريخ لترى أحداثا ألقى عليها النسيانُ رداءه، من أمجادٍ وانتصاراتٍ و الأممِ وحضاراتٍ، و رقي و ازدهار .. وكيف كان أجدادنا بالأمس يملكون ناصية القوة والحضارة والتقدم، بل ناصية العلوم الإنسانية والطبيعية و الصناعية. وكيف كان الأوروبي في ذلة وصغار يأتي إلى بلاد الإسلام فيبهّر بزخرف الحضارة في دياره، فيجلسُ جلسة الظمان فيفتح أذنيه وعقله لينهل من هذا العلم الفياض الذي كان محتجزا في أدمغة الناهيين والعباقرة من أجدادنا آنذاك (العصور الذهبية للحضارة الإسلامية)، فيعود إلى بلده -أروبا- ليقص ما رأى في عجب واندعاش، ثمّ ليبتّ ما تعلم بين بني جلدته وأفراد عشيرته.

كانت أروبا آنذاك تعيشُ في همج هامج: لا تردعها أخلاق ولا يردها عن كيدها دين، وكان الأوروبي في ذلة وصغار يدرس اللسان العربي اضطرارا منه ليدرس هذه العلوم التي بدار الإسلام من بيطرة وبيزرة و علوم الدين بمختلف أنواعها وعلوم اللغة في شتى ضروبها، وعلم الفلك والنجوم وعلوم الفلسفة والكلام والنوادر

واللطائف. فيقتني ما أمكن أن يجمله أسفارا وكتبا مخطوطة نفيسة فيأتي بلده أوروبا ، فيحبس نفسه بين جدران أربعة، فيترجم لبني جلدته ما وقف عليه من علوم دار الإسلام، وهذه الطائفة هي الطائفة المسماة بجيل "الاستشراق".

فكان ما كان، وشال الميزان، و رجح دفة أوروبا وخفت دفة دار الإسلام، و بقدر ما نال أوروبا الإصلاح والنهضة من سبات القرون الوسطى، أضحت البلاد الإسلامية مرتعا للفوضى والجهل و الفتن . و اتسعت الهوة بين العالمين ، و فرغ المسلمون من هويتهم وثقافتهم ولغتهم، فأصبحوا كزق خاوٍ، وملئوا بثقافة و لغة لا تمد لهم بصلة، وأقلت لهم حبال الشيطان تصطاد منهم كل غوي وزائع، وظهر فيما بعد ما يسمى بجيل الاستعمار (وهي مرحلة متقدمة للاستشراق والتبشير).

فسؤالنا هنا ماذا صنعنا بترائنا ؟ وقد أبصرنا في خلال هذه النافذة الصغيرة، إرث آبائنا وأجدادنا، وكيف قامت تلك الحضارة بالعلم، وكيف دمرت بنشر الجهل والبعد عن الكتاب والسنة اللذان هما العصمة التي تعصم من الزلل كل من استمسك بهما. وهل فات الأوان على أن نصلح من أنفسنا وفيما بيننا لنعيد للأمة مجدها و سطوتها بين الأمم، فنقف وقفة رجل واحد نमित اللثام على هذا الإرث الزاخر،

لنخرجهُ إلى نورِ الدراسة وميدان العمل، فنجعله منهاجاً لزمُّ به ما فات، لينشر
التاريخ أحداثه حاضراً بين أيدينا لا ماضياً نرُدُّه آسفيه و متوجعين نحتسي دموع
الخدلان وشهقات القهر، مثل النواح.

والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

• • •

أصدقاء أم كحظات حميمية؟؟

أتى على الناس زمانٌ، أدركوا فيه عجائب الدنيا السبع، فلم يعد أحدهم يعجب للعب وإن رآه بأَم عينه، وعينه بنفسه، وإنك لتسمعُ قصصا لولا أنها تحدث في واقع النَّاس هذا لقلت "ما هذا الهراء"، "عبور جوي عبر حدود الخيال"، "كذبٌ وزور"،... و أنكرت بكل الوسائل!!!

فكما يبدو من عنواننا لهذا الأسبوع، فـ"الصدقة"، تلك المساحة العاطفية المقدسة في كل دساتير الدنيا، طالها داء العجب، وحسب ما تقول الحكمة الفرنسية:

"لا يوجد أصدقاء، بل هي لحظات حميمة فقط!"

الصدقة يا إخوان، شعور نبيل يجمع الحبَّ والأخوة، والحاجة والعطاء، والتواضع والرأفة، بل قل كل ما هو نفيس و نبيل. فالشيء الذي يميّز الصديق عن غيره، هو انعدام المصالح التي تتلف "الصدقة" كما "تتلف النار الهشيم"، والحسابات: التي تعتبر سمّ الصداقة القاتل، والشكوك: التي تشل هذه العلاقة الفريدة في ضررها.

ولقد أدركتُ من الناس أصدقاء، لهم طعمُ الأخ، ونكهة الحبيب، و أريج الأب والأم، يستأنس بهم في الوحشة، ويستند عليهم في النكبة، وتجدهم في الفرح قواسم السرور، وفي القرح مواسخ الألم، حتى إنك بعد إلفهم (أي التعود عليهم) تستأنسهم أسرارك وبواطنك التي تخفيها حتى - عن أقرب رحمك، و تستودعهم هموما حاكت في صدرك فلا تشاركها إلا توأم روحك و ساكن صحفتها: هذا "الصديق!"

وليت كل الأصدقاء كما وصفت، فمن وصفتُ يعزّون كعزّ الغراب الأبيض (2)، أو كقرحة الأدهم (3)، فلا تراهم في المجتمع على الهيئة التي وصفت إلا بالمعاشرة والملازمة وكثرة المخالطة وقراع الخطوب.

ففي الضفة المقابلة، موطن نتن، يجتمع فيه نقيض الصديق، إلا أنه في ثوب الصديق ظاهر، وقد يبدي لك من حسن المعاشرة وحسن القصد ما لا يبديه الصديق الحقيقي، فيفتنك بهرج وفائه وإخلاصه، وما إن تكشف لك الأيام عن ذلك اللثام الخداع، والقناع السميك، حتى تصاب بالذهول والعجب والدهشة اللامتناهية. و الدهشة بعد الدهشة والعجب بعد العجب، يفقد العجب والدهشة تلك النشوة عند الحدوث، فيتقرر ما تكرر، و تصبح الخيانة شيئاً مألوفاً، وإمراً معتاداً!! ..

سرقة أدبية!!

تخيل عزيزي القارئ!!

وأنت تتصفح المواقع على الإنترنت، مطالعة ما جدّ من الكتابات سواء في الأدب أو غيره مما تدينس به صفحات الويب / فتجد كلاماً مألوفاً، بل تجد كلاماً تعرفه، بل قل تحفظه، لكن الغريب في الأمر أن تجد تحته إمضاء لكاتب غير معروف، ألا يصيبك هذا بالجنون!!!

بعض ضعفاء النفوس -سأحهم الله- لا يحسنون من العمل سوى ما يسمى في الإعلام الآلي نسخاً ولصقاً، فيقعون على أعمال غيرهم، بكل صفاقة فيسطون على بنيات أفكارهم، فيأخذونها بل قل يجتثونها فيضعونها وقد وقعوا تحتها أسماء لا تمد لها بصلة بل لو نطقت الكلمة من تلك السرقات الأدبية، لكان أول ما تلفظ به أن تبرئ من أن يكون هؤلاء بينها (الكلمة) وبينهم نسب الكتابة!! وأعجب من ذلك أن ترى تلك الفئة-وقد أقدمت على هذا الفعل المستقبح- تتفاخر بما لم يتفاخر به

صاحب النص نفسه، فتجدها تتلقى التهاني بكل خسة و ترد على المعجبين بدون تردد، وتصدق نفسها أنها صاحبة العمل الأدبي!!

فكما قال الشاعر:

فيا ويلى و يا لهفي == لم يأت بعدُ الويلُ واللهفُ

ولعلي أكنفي بسرد تجربتين وقعا لي مع هذا الصنف من الأغباش،

الأولى : لما كتبتُ خاطرة "فتاة قصائدي"، والخاطرة تحمل من التبجح الشيء الكثير فما كان مئي إلا أن قلتُ في الإمضاء "بقلمي المغرور و لمرة واحدة رؤوف بن الجودي".

بعدها بأيامٍ قلائل وأنا أبحث عبر الغوغل، وجدتُ خاطرتي على منتدى آخر غير الذي أضع فيه ابداعاتي، وكانت قنبلة المفاجأة قاتلة!! نقل الخاطرة حرفا حرفا وكأنه قائلها وأنا ... لا أدري من أكون ، المهم ولما وصل للإمضاء كتب "بقلمي المتواضع زفت بن فلان!!!!"

يا مغفل كيف تدعي التبجح في الخاطرة والتواضع في الإمضاء، تناقض ما لنا إلا
السكوت عنه.

الثانية: كنت أبحث في الغوغل كعادتي، فكتبتُ مقطعاً من خاطرتي "أشلاء
الذكريات" وكان المقطع كالاتي من آخر الخاطرة "معركتي في الحب لا تنتهي"
فوجدتُ عجباً! صفحة تضع مقطع خاطرتي "وفي الإمضاء ماذا "Amr" فلم أدري
أترجمتها للعربية "عمر" أم "قمر" فجعلت أقلب كفي على ما أنفقتُ فيها من أفكارٍ،
بل شككتُ في أيّ قائلها، بل أيقنتُ أنني في شباكٍ فخٍ يترصد كل مرقب، ليتلقف
ما تجود به قريحتنا، فيتناوله غير آبه بتعب ونصب الكتابة فيطبعُ عليه اسمه بالبند
العريض، وقد انتهى من الكتابة في خفقة برق.

ولستُ أبالي بأمثال هؤلاء الأقرام الذين خانهم الإلهام على أن يستحضروا معنى
فضلاً على أن يخترعوه بقدر ما أنا مشفق عليهم بأن يحتالوا على أنفسهم وأشياعهم
بترهات ثم يصدقونها.

• • •

أحبّ موهبةً وفنّ!!

كل آدمي يملك مواهباً وقدرات، كلٌّ في ميدان يُحسنه. فتراه يتفوق على أقرانه فيتجاوزهم.

وقد يجد البعض غرابة في كلامي لو قلت أنّ أولى الظواهر التي تعترها الموهبة هي "الحبّ"، فلو تبصرت في أوساط العشاق لرأيت عجباً: فهذا القلب الذي يأوي العشق، ليس فقط عضلة تصخ الدم فيتوزع في الشرايين بالقسط ليوصل كل ذو حق نصيبه من الدم، بل هو مستودع الأحاسيس و صندوق الأسرار كلها، والموهبة في كل ذلك تكمن في الكمية التي يجويها هذا القلب من عواطف وأحاسيس و طاقة ايجابية تختزن، والفن في كيفية التعبير عنها في قالب الرومنسيّ باهر.

ولعل التراث الأدبي الزاخر في الشعر والأدب غالبته العظمى في الغزل، ونرى الشعراء منذ القديم إذا أبحروا في بحور غير الغزل فترّ (أي نزل مستواه) شعرهم وليس هنالك دافع يحرك شاعرهم بهذه القوة العجيبة، سوى ما تشعله أحاسيسهم

الجياشة من عواطف كالموج العارم فتنبعث أقلامهم في انسيابية ترسم نفسياتهم
داخل أبعاد لا يدرك تخيلها إلا الشعراء العاشقون والأدباء الهائمون، فيأتون بمعاني
تسحر الآذان في أوصاف من قواميس الجنة.

فالحب ليس قراراً، يبدأ نفاذه حال وقوع الإمضاء من الطرفين، بل الحب نسمة
هوى تهب على ربوع القلب فتسحره بعطر يشدّ الأنفاس، فيجد المحب نفسه قد
عُلّق على فوهة جحيم الأشواق، يلفحه الهجر واللامبالاة، ويواسيه الفكر والقلم.

الصائم المسلول على شاتم الرسول

على ضوء ما حدث ويحدث من بث للفيلم الإباحي في ذات رسول الرحمة المهداة سيدي رسول الله صلى الله عليه و سلم ، من قبل أيد صهيونية في أثواب قبطية ، هدفها إثارة الفتن والغوغاء ، وتشنيت الصف و زرع الأحقاد والضغائن بين الشعوب والأديان ... نقول سائلين الله المولى التوفيق والسداد:

إنَّ القلب ليتقطَّعُ أسفاً، و يتمزَّقُ إربا و إنَّ الجبين ليندى و إنَّ العين لتشخص و رسول الله تُلطخ سيرته العطرة بأيد لا تحمل على راحتها إلا النجاسة ، قومٌ سوءٍ اعتادوا التعدي على كل مقدس بذريعة الحرية، و إطلاق التعبير ، لكن هيات أن يستوي الكلام في شخص أي انسان عادي مع شخص رسول الله..

فهذا الرجل ليس ككل الرجال -فداهُ أبي وأمِّي- فكيف بمن حبَّ الله يكون بشرط اتباعه، ومن حبَّه في الله دين يتقرب الله به إليه..قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: "الرد بالشتم لا يعجز عنه أحد" ..

فحن من ها هنا لا نجيز ما يفعل من تقتيل للسفراء، فأولئك دماؤهم في رقابنا ،
وأمریکا لم ولن تكون قدوة لنا في التعامل ،

قضية الفيلم بدأت من سنتين أو ثلاث و ذلك بما فعله ميل غيبسون بتصويره 'فيلم
عن عيسى عليه السلام" .. و بعدها ما تجرأت به السينما الإيرانية بعمل مسلسل
عن يوسف عليه السلام .. و ختم المسلمون سلسلة الهزائم بعمل "مسلسل عمر"
فكانت المحطة القادمة شخص الرسول عليه أفضل الصلاة و التسليم..

فلو أننا ثرنا من أجل أنبياء الله و صحابة النبي المختار من قبل و قلبنا عاليها سافلها
لما فكر أولئك المحمقي في التجراً على شخص النبي..

و لشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب نفيس اسمه "الصارم المسلول على شاتم الرسول"
ينتهي فيه إلى أن من شتم النبي يُقتل و إن تاب لكي لا يفتح باب يقول فيه القائل
ما يقول في شخص النبي وعرضه ثم إذا عُرض على السيف قال إنِّي تُبت الآن
..فالسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان : ما العمل اتجاه هذه الفتنة العظيمة ؟ ؟

***أول** ما أنصح به هو اتباع العلماء و أهل الرأي والعقل والتدبير فهو أكمل الناس علما وعملا و قد رزق الله ما لم يرزق غيرهم من سداد الرأي، ولكون مثل هذه الفتن تأتي على الأخضر واليابس و تعمي الحماسة فيها أبصار المبصرين، و تطفئ شهوة الانتقام عقل المفكرين

***ثانيا** قضية المقاطعة هي راجعة للحاكم، لأن الفرد لا يستطيع أن يقاطع لوحده فهذا يعتبر خروجا وعصيانا ، فالحاكم الشرعي هو المسؤول عن المقاطعة، فالمقاطعة إذا صدرت من الحاكم ستكون بضوابط و لربما سيجد الحاكم البديل ، وهذا ما يعجز عنه الفرد لوحده..

***ثالثا** يجب أن يعرف كل من سوّلت له نفسه أن يطال عرض النبي أن يعرف مقداره في قلوبنا، فهواننا عن هؤلاء الأغمار ما جعلهم يحملون علينا و لا يراعون لنا أية رعاية فضلا أن يخشون بأسنا ، فحريّ بنا أن نقف وقفة صامدة تطول -كل من منصبه و ميدانه- نذب على رسول الرحمة ما ألصق به من تهم باطلاات و من أكاذيب و خزعبلات، ونبث ملامح رسالته السمحة و ننشر أخبار تعاملاته و

مشاهد غزواته و مراحل حياته بين المسلمين وغير المسلمين ، ولأصحاب اللغات الأجنبية دور كبير في هذا المسعى والله الموفق.

اللهم انتقم من أعدائك و نكل بكل من سؤلت له نفسه مس النبي في شخصه أو عرضه أو في أحد من صحبه الكرام رضوان الله عليهم جميعا ، اللهم شئت شملهم و إجعل دائرة السوء تدور عليهم، و اجعل تدبيرهم تدميرهم، اللهم عجل لهم بسوء الخاتمة ، اللهم أنزل مقتك و غضبك عليهم إنك سميع الدعاء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين .

• • •

هل نعرف نحب؟؟

ما يشغل بالنا نحن البشر عادة ، هو الحصول على حب مثالي وعلى من يؤهلنا
لنعيش غمار تلك التجربة الشيقة..

وفي كثير من الأحيان نصدم بأن نرى أنّ أحلامنا بدأت تتلاشى وتتبدد تحت
أبصارنا و ترى أقدامنا مشنجة عن ادراك تلك الأحلام قبل الغرق ، فهل خرجنا
يوما من قوقعة أنانيتنا وطرحنا سؤالنا المحير لماذا لا نعرف نحب؟؟

من الحمق بمكان الظن أن الحب كائن نادر انقرض ، أو موضة قديمة ولّت و انتهى
رونقها ، فمثل هذا الكلام لا يقوله إلا من يئس من الحياة و أشرف على مدارك
الهلاك أمّا من يرى الحياة بنظارة الأمل و عين التفاؤل سيدرك لا محالة أن الحياة
مليئة بالمفاجآت السارة،

نحن بني البشر نملك طريقا مسطرا و مصيرا مقدرا لكن هذا لا يمنع أن نزود قلوبنا ببعض وقود التفاؤل لكي نصل إلى محطاتنا القدرية، بروح عالية و نفس مطمئنة و نظرة وريدية لحياة تستمر رغم الظروف.

فالعشاق هم قبل كونهم أصفى الناس سرية و أكثرهم طاقة عشقية ، هم مغامرون لا يخشون المهالك ولا يعدون الفشل فشلا بقدر ما يرونه لبنة في جسر النجاح ، وهذا لعمرى أكبر مشكل فالخوف من المستقبل هو نفسه بداية مخطط فاشل و دوامة انهنزيمات لا حصر لها ، بل الأحرى أن يتأهب المرء و يهتأ الأسباب و قد يضطر لتغير المخطط العشقية و مع كثير من التوكل و بعض الثقة سيصلح لدكة التوحيج بميدالية قلب حبيبه ، دكة لا تعرف إلا الرقم واحد!

• • •

محت: عرض المرأة الارتباط بالرجل

الحمد لله القائل في محكم تنزيهه: "وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون"

حمدا كثيرا مباركا فيه..

والصلاة والسلام على خير البرية وأفصح من نطق بالضاد من العباد "محمد"، صلاة
وتسليما مترادفين متلازمين إلى يوم يُبعث العباد..

"اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إن شئت سهلا"

أما بعد:

في زمن أصبح فيه الزواج ضربا من المستحيل، وحلما يراود الشباب كل ليلة، ومردّ
ذلك إلى وطأة ظروفٍ معيشيةٍ تعملُ كعولٍ هدمٍ لمستقبلٍ زاهرٍ، معولٌ مهمته
مسح كل ألوان الأمل و إضفاء روح اليأس في نفوس الشباب والعزوف عن بناء
بيت الزوجية، لكن هيات أن ينجح هذا المشروع الخيث ف "للكعبة رب يحميها "

...

وما أردت بمقدمتي هذه الكلام عن الزواج والحث عليه، بل مبتغاي كان الكلام على مسألة باتت تُورق الكثيرات من بنات الإسلام، وهي مسألة " هل يعقل أن تطلب المرأة من الرجل الارتباط؟؟؟.."

وما سيحتويه هذا المقال ليس رداً فقهياً، ونظرة الإسلام إلى ذلك، لأن الأمر لو كان محرماً لما حق لنا ولا لغيرنا الكتابة ونقاش ما حرم الله ورسوله!!

إنما فحوى المقال أن نناقش نظرة الرجل لهذا الفعل، ووضع أسس وقواعد تُبنى عليها كيفية و طريقة حدوث ذلك. ويبقى هذا المقال مرهونا بوجهتي نظري القاصرة كما سيبقى الموضوع مفتوحاً للنقاش.

أما بعدُ:

إن مسألة "عرض المرأة طلب الارتباط من الرجل، ليس بمنكرة إلا من ارتأى ذلك بما هو متعارف عليه من حدوث العكس، (أي طلب الرجل الارتباط من المرأة) ولا حتى بقادح لا للمرأة ولا للرجل على حدٍ سواء، بل قد تقتضيه الضرورة

والحاجة، ويكون عندئذ جروجا عن العادة واستثناء لما هو معروف ومتداول لا غير، ولكل قياس شواذ كما يقال.

لكن لتجنب النتائج الوخيمة والآثار السلبية من عدم القبول وعدم الرضى اللذان يمثلان عكس المرجو من هذه العملية، يجب تحقق شروط اثبات كما سيأتي.

شروط الإثبات:

- أن يكون الرجل على دين وخلق:

فالدين -وإن كان يحوي الخلق- إلا أنّ الرسول فصل بينهما في الحديث المشهور

بقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه" ..

وما فصله صلى الله عليه وسلم إلا لأنه علم أن ليس كل من ظاهره التدين يستلزم

أن يكون ظاهره التخلق..

وهذا يفضي إلى أنّ تدين الرجل هو لنفسه وأن أخلاقه له ولغيره.

فهذين الميزتين "الدين" و"الخلق" ستدفعانه إلى الرؤية الصحيحة للموضوع-في حالة القبول- بأنه ليس بمنكر، أو ستدفعانه إلى التكم و الستر في حالة حدوث العكس (أي الرفض).

-أن يكون الأمر بواسطة:

وجود الوسطة له تأثير كبير في كل من الحالتين (القبول أو الرفض)، وفائدة هذا الشرط هو تجنب الإحراج من جهة الرجل، و تفادي الصدمة من جانب المرأة.

وإن كنت أفضل طريقة أطف و هي "الإماء" أي "الإشارة"

وفي هذا قال الشاعر (لله دره):

إشارتنا في الحبِّ غمز عيوننا = وكلُّ لبيبٍ بالإشارة يفهم

حواجبنا تقضي الحوائج بيننا = ونحن سكوت والهوى يتكلم

فإذا وجد للإشارة صدى، فهذه ستكون بادرة خير، لحبر يسر، و بعدا عن نبياً يضر.

(*) يجب الانتباه للواسطة لأنّ الطريقة في الطرح لها نصيبٌ من التأثير، فيجب اختيار الواسطة المناسبة، المقنعة، الفصيحة.

-الموافقة:

وأعني بالموافقة التجانس والمطابقة الخلقية والأخلاقية بين الطرفين (أي الرجل والمرأة)، فمتى كانت (أعني المرأة) غاية في الجمال و حسن الطباع والدين، فحفظها ليست كمن كانت على قلة بضاعة في الجمال والخلق والدين، فتلك الميزات المتفاوتة بين بنات حواء، وتلك الثلاثة هي من ترفع حظوظهنّ أو تضعها من خلال النتائج المرجوة من "قبول" أو "رفض".

-النية الحسنة في الارتباط:

ولعلها أهم الشروط التي سبقت، فلو قدرنا أنه تمت الموافقة على الارتباط لكن بنية غير الوصال الشرعي الذي هو الزواج بأركانها التي سنّها الإسلام!! فلا خير في تلك الموافقة التي أسست على نوايا خبيثة قد تكون وبالاً على المرأة، بل قد ترجو أن لو منيت بالرفض عندها!!!

فهذه أربعة، يجب توفرها لكي يمر الأمر على أحسن ما يرام وبأقل ضرر ممكن، ومع ما ذكرنا أعلاه نعود ونقول أنّ الأمر نسي إذ مرده في الأخير إلى الأذواق التي تخلف بين بني البشر، وقد ذكر ابن الجوزي-رحمه الله تعالى في كتابه "ذمّ الهوى" العجائب في الأذواق، فهناك من كان على حسن وجمال ودين ومع كل تلك شغف قلبها بحبّ واحد من الزوج، وكذا قصة الشاعر الذي امتدح حبيبته فبالغ في مدحها ولما أوتي بها فإذا هي سوداء .. وغيرها من القصص التي تحويها كتب التاريخ ..

* وما دام الأمر نسبيا كما ذكرت، يجب على المرأة-كونها المخصوصة بالذكر- أن توازن بين المصالح والمفاسد وأن تعطي لكل أمر حقه ومستحقه، وأن تشغل الفكر والعقل جميعا (وإن كان صعبا فعل ذلك في مثل هذا الموقف): قدر الإمكان و المستطاع، فالعواطف كالعواصف لا تبقي ولا تدر.

وفي الأخير لا تنسى أن تدعو من لا يرد الداعي إذا دعاه.

اللهم ما كان من باطلٍ فمّني ومن الشيطان وما كان من حقٍّ وصوابٍ فمّنك.. فلك
الأمر من قبل ومن بعد.

• • •

الشعر منهج حياة وليس رصف الحروف

من نعمة الله التي أنعمها علينا أن جعل بيننا و فينا أشباه كتّاب و أشباه شعراء ،
نتسلى بخرّشاتهم إذا طغى الملل على قلوبنا ، وطلبنا بعض التسلية!!..

ومن النعيم الباذخ ، أنّ الكتّاب المتمرّسين ، والشعراء الفحول يتيهون في صحراء تعج
بأمثال من ذكرنا، فلكي تجد أحدهم فلن تكلف نفسك عناء التنقيب ، فهاهنا الكثير
منهم ما عليك إلا أن تختار من تدوم لك تسليته ووفاءه في إضحاك ف"الألفة
سهلة المنال ، صعبة الاستئصال.."

فما يضحك سني ، ويبرز ضواحيكي ، و يولد أزيئا في صدري ، دعاوى الانتماء إلى
روضة الشعر من أناس هم أقرب إلى الضلال من الهدى ، ينسبون أنفسهم زيفا
إلى تلك المملكة التي يتناطح فيها الفحول ، ويتصارع فيها الجهابذة ، وقد ينكر
قاطنيها ما ينسب إليهم من وابل الإطراء والمدح في حين يتبنى هؤلاء الأغمار ما
يقال وما لا يقال في حقهم من مجاملات ملفقة ومبالغات ممتّعة ، يحسبها "الظمان
ماء".. ولا يدركون -الأغمار- أنّه متى تمكّن الكبر والحيلاء من امرء ما فلقد أوقع

كبره وخيلاؤه في معتقل النرجسية ، وإن كان دون الدون فسيري نفسه قد على
السحاب و عانق الآفاق بجناحي الكبرياء .. وهذا كله فلم تقع أحداثه في كرة رأسه
ببطل وهمي و سيناريو من تأليف مخيلته المغمورة..

فلو أشفق على نفسه بأن يلقي نظرة فيما يحدث حوله ، لأعطي الشعور بالسقوط
الحر ، لأنه رفع نفسه إلى مكانة لا تنال بالكلام أو بالأمانى بقدر ما تنال بالجد
والكد و المثابرة ، وتحدي الصعاب ، و كسر العراقيل ، وإيقاد الطموح بوقود من
اليقين بالله و بالقدرات البشرية الهائلة، التي وهبها الإله لكل واحد من البشر.

وصدق من قال :

وما نيل المطالب بالتمني ** ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

و نحن وإن كنا من دون الدون ، اعترافا لا تواضعا ، إلا أننا نرجو ونأمل ، ونمشي
بخطوات نقنفي فيها آثار الكبار، قدر القذة بالقذة ، عسى أن ننال من بركتهم ،
مثقال حبة من خردل ، فالتشبه بالكرام فلاح.

• • •

تعلم كيف تتعامل الأنثى

ما يدفعني إلى أن أكتب في مثل هذا الموضوع ، هو ما أراه من تجبر بعض الرجال على النساء باسم "الحب" والحب بريء مما يدعون. إذ حرّينا بنا نحن معاشر الرجال - أن نتقي الله في قلوب العذارى لأنّ قلوبهنّ هواء (كما يقول أحمد شوقي في قصيدته المشهورة).

ولا عجب أن ترى العنف قد رمى بجنوده في الأوساط الغرامية ، إذ أصبحنا نرى مناظرا يندى لها الجبين ، من تعنيف وسبّ وشتم ، وجذب من الثياب ، وسحب من الأيدي . وهذا -في زعمي - مردّه إلى الجهل المركب بتركيبه الأنثى وعناصرها و الإحاطة بمكونات هذا المخلوق الضعيف ظاهرا وباطنا . والجهل كل الجهل بكيفية التعامل معه كلاما وغراما وما يتوجب فعله إزاء ذلك في حالة الرضى والغضب في حال الشوق أو النفور في حالة الضحك والبكاء..

فمن خلال هذا المقال المقتضب ، لسوف أسلط الضوء على كيفية التعامل مع بنات حواء ، من خلال ما تيسر لي من قراءة في هذا المجال وتجربتي المتواضعة أستحي بذكرها أمام ما قد يجبهه أكثر قرّائي..

قبل البدء يجب التنبيه إلى شيء مهم ، أنّ العلاقة التي يحفظها رابط شرعي تنال من بركة ورضى الربّ ما تنال غيرها من العلاقات الأخرى ، خالية من الشبهات وبعيدة عن ما يجري على الألسن من تجريح و تنكيل .. إذ أن الوصال الشرعي مقصد كل صالح ومنفذ كل طالب خير.

المرأة أو ضلع الرجل الأعوج ، ليس إلا جزء لا يتجزأ من كيان الرجل روحا وجسدا ، فبمعرفة هاتين النقطتين ، يتوجب على كل ذي عقل راجح و فكر سليم و خلق مهذب أن يراعي ما كان جزءا منه كمرآته أعضاء جسمه ، بأن يحيطه بقسط من الإهتمام والمراعاة كأن يسأل عنه إذا غاب، و يتحسسّه إذا مرض، ويسترضيه إذا غضب ، و يضحكه إذا ابتسم ، ويقاسمه حلو الحياة ومرّها بلا مقابل ولا شروط .

فالمرأة متى أحست الاهتمام من الرجل ، تولد في أحشائها مغناطيس الحنين إليه ،
وكلما زاد الاهتمام ازدادت قوة المغناطيس وبالتالي يشتعل الحنين ويتوقد اتقادا..

ومن الاهتمام بمكان ذكر اسم المرأة في الحضور والمغيب ، لأن أكثر ما يثلج صدر
المرأة سماع حسن ذكرها على لسان من تحب ولهذا أثر بالغ قد يحقره الكثير..

وما يزيد في المحبة أيضا ، "الهدية" التي تعتبر مفتاحا سريا لقلب المرأة ، وليست
الهدية بقيمتها المادية ، ولكن بقيمتها المعنوية ، وأهون الهدايا ما تقدمه لحيبتك في
غير مناسب لأن الهدايا الموسمية محل نظر كما أنها تجعل من أثرها أثرا موسميا هذا
إلى جانب أنها تحرق المفاجأة.

ومن المفاتيح أيضا لقلب المرأة ، أن تراسلها بكلام عذب - عبر الهاتف أو عبر البريد
- تعبر فيه عن حرقه الشوق إليها ، و لوعة الهجر بعيدا عنها ، و مكانتها المرموقة في
قلبك ، وحاول أن تصدق فيما تقول وإلا سيكون وبالا عليك.. فالمرأة بطبيعتها
وفطرتها تميل إلى الرجل الرومنسي -ولست أطلب من معشر الرجال أن يصبحوا
كلهم مرة واحدة نزار زمانهم - بل إن الرجل الرومنسي ، يلج إلى قلب المرأة بدون

سابق إنذار ولا سالف دعوة ، فالمرأة تُعير "الكلمة الطيبة" و "اللفظة الحلوة" مكانة كبيرة ، وقد يظن البعض أنني أهذي ، لكن لا بأس بأن أعذر جهل من لا يعرف النفس الأنثوية ، فالمرأة ليست رجلا ولن تكون كذلك ، فهي والرجل كانوا و لا يزالون كائنين متكاملين فيزيولوجيا (أي جسديا) و روحيا (أقصد عاطفيا) .. وما يُروّج هنا وهناك عن انحراف المرأة عن دورها الأنثوي وارتدائها بنطلون "الاسترجال" ما هو إلا مشروع لتحطيم "الصورة النقية" لهذا المخلوق بطعم الشوكولاتة في نظرنا .. وأنا من هنا أنفي ادعاء المدعين و تُهم الحاقدين، الذين ليس لهم كهدف إلا تحطيم العلاقات الاجتماعية والروابط الأسرية .. وجعل المجتمع شتاتا تذروه رياح الفراق والجفاء والهجر .. فهل سنكون -كرجال- لبنة فعّالة في هذا المخطط الخبيث؟؟؟

و آخر ما أختم به مقالتي ، هو قولي بأن المرأة هي محتاجة فعلا إلى سند تتكئ عليه عند المحن ، يأخذ بيدها إذا زاغت عنها كل الحيل ، و يسدها إذا تخلت عنها كل الحلول .. وهذا السند إذا لم يكن أنت وأنا وهو فمن يكون أيها الرجل ..؟؟؟

• • •

قصائد منتصف الليل 1

أعلم أنّ بيني وبين فلم أحلامي إغماضه جفن! كما أعلم أنّ الأحلام ما وجدت إلا لغاية واحدة : أن لا تتحقق؛ فهذا مذهب شائع عند العقلاء من الناس!!

أمّا المجانين من هم على مثل مذهبي، فليس يفصل بينهم وبين الأحلام غشاء الجفن هذا؛ لو قلت لكم أنّي أنا على خلفية سوداء حتى أضحى هل تصدقون؟؟

ولو قلت لكم أنّ أحلامي تبدأ عند اللحظة التي أفتح فيها عيني ليدخل نور الحقيقة طاردا حلقة الكوابيس و ليعلن عن اندلاع ثورة أحلامي..

أنا أحلم إذا أنا موجود.. وما دمت موجود فهذا دليل على استمرار هذا الحلم الجميل!!

قصائد منتصف الليل 2

لما يهجع الناس و يلجأ كل واحد إلى دفء فراشه، أوقد في ذهني شمعة و ألوذ إلى القلم عسى أن يمديني بوحى الكتابة، لينقشع عني سلطانُ النعاس و يرتادني فارس اللإلهام عنوة.

أعيش فوضى عارمة في رأسي الصغير .. فمكتبة أفكارى مرتبة على نسق عشوائى..

حال جنونى بينى وبين عقلى، فأثرت العبث على النظام فى تلك الرحلة الشيقة.

رحلة الكتابة تبدأ بالإبحار عكس التيار، فى بحر الذكريات الوردية، فأنت تقلب الذكريات صفحة صفحة وضرب من الإحساس يرتطم برحك كموج الغضب والقهر والحيرة.

الأيام الخوالى، وذكرى الحبيب، و مخلفات الملحمة الغرامية: ثلاثة فى واحد، الحب.

فالأيام التي مورس فيها الحب و احترق فيها الشوق ليضفي دفئا و حرارة، أيام
سعد وتلذذ، فيذهب الحب و تبقى الذكرى، و تورث اللذة الألم، و يغدو الدف نارا
تكوي، فتتفتح مواطن القبلات جراحا تنزف حزنا سرمديا وتلك مخلفات الغرام.

• • •

قصائد منتصف الليل 3

أعيشُ الساعة صفاء لا أعيشه سوى مرة كل سنة أو سنتين.

أشعر بخفة روعي وهي تدغدغ جسدي في انسيابية و تल्पف، كقطرات الندى لما تنزلقُ على حوافِ أوراق الشجر، ولا أدري البتة لما وكيف أرسَم الابتسامة على وجهي الحديث بالعبوس، فمذ كذا وكذا لم أضحك ولم بيد لي ضرس من الضحك، فالأحزان والقهر علم وجوهنا العبوس وحواجبنا التقطيب.

أشعر وكأني واقف على عتبة بوابة أحلامي، وليس بيني وبين طموحاتي وأهدافي سوى بضع خطوات، أمدّ فيها قدمي المرتعشتين خوفا من الفشل، آه لو ترنون ذلك النور و وهجه وسطوعه لأدركتم مدى عظم أهدافي. هذا القلم مع رفيقته الملازمة له الورقة البيضاء، يمثلان ترجمان هذه الخواج التي تحيك في الصدر، فهما يتمايلان طربا لأتني ضحكت أخيرا، يريدان أن يُخلدا هذه الحادثة الخارقة في تاريخ بؤسي الحافل.

قصائد منتصف الليل 4

أين تذهب أيها النعاس، بعيدا عن هذه الجفون، هل تُراك تضع حجرة عثرة بيني و
بين أحلامي البريئة!

أم أنّ نشوتك أن تراني أتململُ في فراش الوحدة مكتنفا وسادة الريش، مكفكفا
دموع الحسرة وكاظما غيض الأيام في صدري .. أين تذهب أيها النعاس؟؟؟!
أعشق هذا السكون بقدر اشتياقي لك، بقدر حبي للشعر، بقدر وفائي لهذه
الوحدة القاتلة، أعشق هذا الإلهام الذي يأتيني متبرجا في الظلام، فهل سيكون لي
منه نصيب ، أم أنّ نصيبي منه نصيبي منك أيها النعاس!!!

• • •

من يفهمني؟

أدري أنك لا تأبه عزيزي القارئ، و لكن ربما غيرك يفعل!

إن الشعور الدفين في الذات الإنسانية ، بالوحدة الخائفة والعزلة المطبقة ، لكفيل أن يمزق في حياتك صورة كل جميل ، فمهما حام حولك الأصدقاء ، و استأنس بصحبتك الرفقاء ؛ فسيُزال ذلك الشعور الماكث بداخلك ليُورق صفو الحياة ورونقها

!!!

والحالُ هكذا، فإنّ الدنيا من حولك تفتتت من الحزن الذي يسكن أحشائك، فتغشاك ما يَغشاهَا من ألوان الكآبة والبؤس ودموع الشتاء، فتجد صورة حزنك بالأبيض والأسود، مبنوثة في هذه الطبيعة الصامتة.

في مثل هذه الحالات أهرعُ إلى مساحات الورق الأبيض، لأنال من طهارته ، لألقي فيه حروفي المدنسة، وهي تغلي غضبا و تحترق قهرا ، فمن لي غير هذا الصديق الوفي ، الذي يترجم آهاتي ، و يحكي معاناتي.

أتكلم في صمتٍ، وهو يصمتُ في كلام، يتحرك في انسيابية ويتغلل في روعي
ليطرب تلك الجراح، وليصح أخطاء خلفها الماضي الغابر.

قصة: المجنون

دخلتُ مقهى بجنبِ العملِ، مقهى الذي يُشعرك أنّك عبرتَ بوابةَ الزمنِ للماضي إذا مررتَ عبر بوابتهِ، فكل شيءٍ فيه عتيق: الطاولات، المصابيح، البلاط الجدران، حتى النادل نفسه؛ لولا تلك الثلاجة التي عليها غلاف "كوكا كولا" الأحمر، التي تشعرك ببعض الحداثة وترسلُ في عَيْنَيْكَ ألواناً زاهية على غرار الألوان الباهتة الممزوجة بالحزن في كل مكانٍ من هذا المقهى، فتُرجعكَ إلى زمان الناس هذا.

لا تلبث-وأنت داخل- حتى يُوخِزَكَ صُراخُ "عمي مُحَمَّد" وهو يلوِّحُ بِشِمَالِهِ، "قهوه Press" أو "حاجة وحدخري!!"

و يمينه -قد خلفها-هنالك على مِقْبِضِ العَصَاة، تَسَعَى في اتجاهين فوق وتحت، مُلبياً طَلَبَاتِ الرِّبَايِنِ المُدْمِنِينَ على احتِسَاءِ القَهْوَةِ وشُرْبِ الدُّخَانِ.

اقتربتُ منه و قُلْتُ متبسم الثغر:

-أريدُ قهوةً مُركّزةً "عمّي مُحمّد"، إذا شربها التملُّ انتبّه، وإذا اشتمّها التأمُّ أفاق،
وإذا مسّها حجرٌ مسته سراء (كما يقول أبو نواسٍ في الخمر).)

فرد -كعادته- مجاملا:

-حاضر "يا سي فاريها"، طلباتك أوامر.

جلستُ إلى طاولة بها مكانٌ شاغر، فما إن هممتُ بالجلوس حتى وجدتُ جالسًا
عليها شخصٌ يبدو من مظهره أنه مُختلٌّ، فقلتُ في نفسي لو شرعتُ بالنهوض
لسوف يُحدثُ ذلك أثرًا سلبيًا في نفسيّته، فقررت أن أقاسمه الطاولة وليكن ما
يكن!

رأيتُ فيما رأيتُ، رجلاً عليه أحلاسٌ يشعرك بالبرد بمجرد أن تراه، على رأسه قبعةٌ
رياضيةٌ متسخةٌ، عليها آثار التشرد، بين يديه كوب قهوة في جوفها ملعقةُ السكر،
أحسبها تحرّص الكوب من أيادي العابثين الانتهازيين وما أكثرهم ما هم !! لو أبصرت
فمه، لحسبته مدخل مغارة ، على جبل منسيّ، سقط منه الأسنانُ إلا قليلا، و ما

بقي من أسنان عليه صديد، أكادُ أجزمُ -غير مرتاب- أنه صديدٌ لا يُزيلُهُ حتى الكير
!!!

رأيتُ فيما رأيتُ، رجلاً مكتنفاً (أين ماسكاً) سيجارةً دخانٍ من نوعٍ عتيدي
جداً (نسيم) - ليس لها من اسمها نصيب-، ينفخُ فيها كأنه ينفخُ في مزمارٍ؛ لكنَّ نفخه
إلى داخل رئته لا إلى خارجها، مصحوباً بدخانٍ كثيف، يُنبئك بتاريخ حافل وخبرة
متطاولة في عالم التدخين؛ فقد خيلَ إليّ من مظهر السيجارة -وكان قد ثبتها بين
ابهامه وأصبعه الوسطى- ومن شفثيه اللتان لم يُحركهما إلا قليلاً بقدرٍ ضئيلٍ ليُخرج
ما تبقى من الدخان مما علق في رئتيه؛ خيلَ إليّ كأنه قطارٌ بُخاري، على سكة
حديدٍ، إلا أنّ هذا القطار ثابتٌ والسكة هي التي تمشي، فيدير عجلاته الحديدية،
وربما هذا الذي كان يدفعه ليبقى ثابتاً في كرسيه، محركاً قدميه يمنة ويسرة!!! من رآه
وهو يمعنُ في التفكير، يحسبُ أنه حُمّلَ تداوير الكون، وانتهت إليه أعباء وهموم

الأمم بمختلف أشكال وألونها، ففي غمرة التفكير اللامتناهي، نسي أن يتخلص من
رماد سيجارته، فهَرَعَتْ لأضع بين يديه الرُميدة (هي الصحن الذي يلقي فيه رماد

السيجارة)، فانتكز من غفوة وكاد يُحرقُ ثيابه، فلم يأبه وألقى جل رماده على الطاولة و بعض من البعض في الرميذة، وعاد إليه رُشدة هنيئة ؛

فقال متلعثما:

-صحا صحا (أي شكرا)

و عاد لجنونه -مرة أخرى- ، وقد شدّه الحنين لفراقه خلال تلك الهنيئة.

لم أفهم سبب عُبوسه -وهو المسافرُ بعقله وروحه إلى دنيا غير دنيا الناس-، حتى بدأ نَفْرَ (أي مجموعة) من الشبابِ الطائشِ-كانوا داخل القهوة-، بالتدافع والتراشق بالسباب، يمارسون مشاكساتهم فيما بينهم، ولعل المجنون وجد في لعبهم شيئا يعرفه؛ فكما عاد لدنيا العقلاء فشكرني، أظنّه زارهُ هؤلاء إلى عالم جنونهم بشغبيهم ومشاكساتهم، ولما أدركهم و عرفهم "تبسم!"

انتهت السيجارة الأولى، فهمّ بإطفائها ثم أخرج من مستودع الذخيرة في جيب السترة، سيجارة أخرى، فرجع ليتحسّس الجمر في السيجارة الأولى فنسي أنه أطفأها، وكأّن الأحداث ليس لها ترتيب في رأسه، وكأّن الأحداث قد لا تحدث إذا

حدثت، فالسيجارة في رأسه لا تزال متقدة وجرها مشتعل فهو يحاول جاهداً أن يستعملها و يضغط بقوة، ساءني مظهره و يحاول يحاول بلا جدوى ... في تلك اللحظات،

وصل صديقي "حكيم" و كان مبتلاً -كهذا المجنون- بشرب الدخان، فطلبت منه أن يُشعل له سيجارته قبل أن يُقبل على جُنبه فيُصورنا له كعيدان ثقاب !!! فأوقدت له السيجارة الثانية، واستأنفت سكة الحديد رحلتها على هذا القطار؛ وعاد ليحرك قدميه من جديد.

• • •

خواطر مصمم عربي¹

بدايتي

من أين أبدأ.. طبعاً سأبدأ من الأول.. كان عمري يومها 23 سنة وبضعة أشهر و قد كان اليأس قد أكل منّي الشيء الكبير و الكثير...

في تلك الحقبة ما كنت أحسن سوى برنامجين أو ثلاثة

Mapinfo و covadis و Autocad

ولا أخفيكم أن حالتي المادية كان في أسوأ حالاتها تحت شعار "ما عندناش بصح خصناً" هههه كما يقال بالعامية مع بعض التحريف من حضرتي..

فما كان بوسعي حينها إلا أن أفتح أبواباً أخرى للرزق ما عدا الراتب الذي لا يسد الرمق و لا ينقذ من غرق.. فجاءت الفكرة من شقيقي الحبيب "جاما نصر الدين" الذي نصحني أن أدرس لكن المشكلة أنني يومها ما كنت أملك الزاد الذي يسمح

لقزم مثلي أن يدرس-وأنا أحوج من أكون للدروس-..ترددت كثيرا يا إخوتي حتى كدت أن أنسى الموضوع لكن حاجتي حالت دون ذلك فجمعت شتات همّتي و قررت أن أضع سيرتي الذاتية في أقرب مدرسة خاصة..وكانت الأرقب تبعد عن مقر إقامتي بعدة أمتار لا غير..

فمكثت أكثر من سنتين أنتظر فرصتي فلما جاءت فرصتي، طلبوني لإجراء امتحان شفوي مع المدير التنفيذية نفسها، حيث حطمت قلبي و هي تقول أنها تملك ثلاثة مدرسين في برنامج Autocad ولا تنوي أن تضم الرابع.. لكن بالمقابل تريد مدرسين في برنامج التصميم Photoshop و هنا زادت محنتي فأنا لا أعرف من البرنامج سوى اسمه..ماذا أفعل .. ماذا أعمل حيال هذا المشكل الذي وجدت نفسي فيه..!! ما كان مني إلا أن سألت المديرة التنفيذية ومتى تبدأ الدورة التعليمية قالت في نهاية الشهر...!!! وافقت مبدئيا وأنا لا أدري ما الخطة للخروج من هذا المأزق الذي أوقعت نفسي فيه..

دخلت المنزل وأنا أسوء حالا من الثكلى التي فقدت وحيدها، أوقدت الحاسب و نصبت البرنامج-حتى البرنامج لا يوجد على الحاسب- ووضعت دورة تعليمية بالفيديو

CD Format Phtotshop 7

سخرت يومها سبع أيام لدراسة البرنامج وقد أفلحت فلاحا كبيرا في استوعاب البرنامج في تلك المدة القصيرة ولا أقول أنني استوعبته كاملا ، وبعد عشرة أيام من الموعد مع المديرية أصبحت جاهزا نسبيا للتدريس لكن مع خوف شديد يعتريني ومع ذلك أصريت على تجربة تلك المغامرة التي كانت ضربا من المستحيل...

في مساء يوم الجمعة كان الموعد مع أول دورة لتعليم الفوتوشوب مستوى I وكان القسم ممتلئا نسبيا، المصيبة أنه ما ظن أحد ولا طرفة عين بأنني الأستاذ الذي سيتبعهم في الدورة التعليمية..

قدمت نفسي و كنت جادا لأبعد الحدود .. مضى الدرس على أحسن ما يرام : لا أسئلة خارج خريطة معارفي ههههههه

الدرس الثاني..الدرس الخامس وكل مرة أزداد ثقة في نفسي وفيما أقدم للتلاميذ كان محفزي في ذلك رضى التلاميذ على طريقة التدريس..

وانتهى الدورة التعليمية وأغلب ممتدرسين راضين على تعلموا في الدروة وكانت من هنا البداية التي صنعت مئي "مدرسا".. من هنا بدأت مشواري كمدرس، لا كمصمم لأن التصميم اكتشفته فيما بعد..

من يومها وأنا عاكف على دراسة برامج الرسم والتصميم -تعلمنا وتعلينا- لعله يخرج مئي ذلك الفنان المتخفي..هذا من جهة

ومن جهة أخرى: كنت أسعى لأقدم للمتدرسين الجديد دوما فمستواهم كان يزيد يوما بعد يوم و كذا متطلباتهم وأسئلتهم..فكان إلزاما أن يكون مستوى المدرسين على مستوى التدريس..حيث أن مواكبة التطور -الذي يحصل في عالم التصميم والرسم عموما- بات واجبا على الكلّ: فمجرد الإطلاع لا يكفي للحاق بالركب..ولقد لاحظت يومها أن الغرب إنما اعتلوا دكة التتويج في كل المناسبات كان بتقديسهم للعلم أينما كان وللعلماء أينما حلّوا وإن كانوا من غير بني جلدتهم..

أعود للكلام على سيرتي الذاتية، فبعد مضي أكثر من سنة على دخولي عالم التدريس ، لا أخفيكم أنني كنت أعرف من عالم التصميم إلا الشيء القليل، وهذا النقص كان يحز في نفسي كثيرا مما دفعني للدخول في هذا العالم فجأة و بدون سابق انذار..كانت بدايتي بعمل أعمال بسيطة لصالح المدرسة بعدها قمت بالتعرف على صاحب مطبعة قريبة، وكان هذا الأخير لديه طلبات تصميم كثيرة..فكما دخلت عالم التدريس بدون زاد كاف دخلت أيضا عالم التصميم صفر اليدين..فكان أول طلب "تصميم واجهة مقهى مجاورة" فكان ما كان ووافقت على العمل مقابل 5000 دج ، أمضيت تلك الليلة واليوم الذي يليها .. حملت الكثير من الصور من خلال النت ووضعت عصارة جهدي في المشروع كل هذا والخوف يعتريني أن لا ينال عملي إعجاب صاحب المطبعة.

بعد يومين من العمل الشاق أنهيت العمل على التصميم، وهرعت مسرعا لكي أسلم العمل ولا تدرون كم كانت فرجتي عارمة لأن التصميم نال إعجاب صاحب المطبعة وكم كنت متشوقا لكي أدرس 5000 دج ثمن التصميم في جبّ جيبي...

لكن الأمور لم تكن بتلك السهولة فقد وقع ما لم يكن في الحسبان صاحب المقهى
فجأة غير رأيه وقرر بكل بساطة أن يحتفظ بواجهته القديمة وقرر أن يحتفظ بتصميمي
فكانت هكذا أول تجربة لي في عالم التصميم ، مع ذلك كان أول فشل حافزا لي لكي
أطور أكثر فأكثر.

• • •

خواطر مصمم عربي 2

التصميم بين التقليد والتجديد

أول ما يبدأ به كل مصمم، في بداية تعلمه هذا الفن ، فن التصميم هو التقليد!!..
أي تقليد كل ما قد يقع بين يديه من تصميمات غيره من المصممين الذين سبقوه،
فتراه يحاول جاهدا أن يحاكي هذا التصميم وذاك، على حسب ما يمتلك من قدرات
ومواهب اكتسبها من الدروس التي تبث على النت أو تدرس مباشرة في المدارس
الخاصة.

فالتقليد في هذه المرحلة ليس عيبا كونه مرحلة عابرة وضرورية!!

فمع مرور الوقت والأيام ، ومع كثير من الممارسة والتمكن من برامج التصميم المختلفة
(كالفوتوشوب وغيره)، يصبح التقليد عارا على المصمم إذا ارتكبه خاصة فيما يخص

الأفكار والأساليب المستخدمة أثناء العمل (فهاذا يعدّ من السرقات الفنية التي إذا لم يعاقب عليها القانون المدني فلن ترضها النفس الشريفة).

فمن المفترض أن يستخدم المصمم في أعماله قدراته الشخصية التي اكتسبها والتقنيات التي تعلمها إبان دراسته، ويضعها في قالب واحد، مع حسن اختيار الألوان والفوننتات والأبعاد ومواضع وأماكن التفاصيل .. وهذه أشياء مهمة للغاية لنجاح أي تصميم.

ونحن من ها هنا لا نمنع أن يدرج المصمم صوراً أو أن يستلهم من أعمال غيره، لكن ما نطلبه وندندن حوله في هذا المقال هو أن تكون لمسة المصمم ذاته هي الطاغية وليس العكس..

كأس يستخدم الفرش (Brush) و الفوننتات (font) والتدرجات اللونية (Gradient) والفلاتر (filters) وغيرها...

كما يدمج بعض الصور لعمل فوتومونتاج ، ويستطيع أن يستخدمها كباترن (Patterns).

فالإبداع يا معشر المقبلين على هذا الفن هو مطلب وهدف كل فنان على العموم
والمصمم على وجه الخصوص، فمن عمل عملاً فأتى بالفكرة من فلان والفكرة الثانية
من فلان وهكذا .. ولم يكن له نصيب من العمل سوى نسخ واللصق، فأبي شرف
سيناله هذا المصمم التعيس!!

وقد قيل:

"إن الفتى من يقول ها أنا ذا ** وليس الفتى من يقول كان أبي.

خواطر مصمم عربي 3

فلسفة الهزيمة

أمضيت أياما وشهورا وسنوات، أراود فن التصميم وأهله، ولا أترك بابا ولا نافذة ولا حتى ثغرا إلا ولجت أو حاولت ذلك. ولم أجد في رحلتي مشقة ولا صعوبة، بقدر ما عانيت من أخلاق وطباع أهل هذا الفن!! ولعمري كأنهم رضعوا من ثدي واحدة، فسرت لبانها في أجسادهم، و انتشرت في أعضائه، وأخذ كل عضو منها بنصيب وافر، فخرجت تلك الطائفة على نمط واحد، وفي ثوب واحد، على اختلاف مستوياتهم، وتفاوت قدراتهم، وما الثدي التي حدثكم عنها إلا ثدي "التكبر" وما لبانها إلا لبان (أيّ لبن) "الجدل" و "فلسفة الهزيمة"!!!

فأصبحت محنتي محنتين إثنتين، محنة طلب هذا الفن، ومحنة التحرز من أن يصيبني من درن "الكبر" و "الجدل" شيء .. فمشيت في هذا الميدان كالذي يمر ببستان

مزروع كله ألام يخشى -في كل لحظة- أن تخطأه هذه فيفرح، فتسفه الأخرى فيفرح، فيكون ثواب الأولى مقدمة عقاب الثانية!!!

فكلامي، ليس نظرية ولو كان كذلك فلكل نظرية وقاعدة شواذ (أي إستثناءات)، فلقد رأينا ممن نبغوا في هذا الميدان، وأبدعوا سواء بإضافة أو تطوير أو تدريس أو تعليق، ورغم ما كانوا عليه من اتساع مخيلة، و طول باع (يعني كثرة الإطلاع)، وسلامة الذوق والإحساس، ما كان ذلك إلا دافعا، للتواضع والبساطة. فما بال هؤلاء وهؤلاء وأنت ترى ما ترى من فارق في العلم والذوق ومن ثم الفارق في تكران الذات والتواضع، إلا نفخات ينفخها الهوى و همزات ولمزات شيطانية وحبّ الظهور في روح "المصمم" ليزداد حجمه بالهواء (بل بالوهم)، فهو عندئذ بمنزلة السراب، الذي إذا أتيته لم تجده شيئا!!

وعلى هذا أقول، أنّ من شروط قبول العمل : الإخلاص والمتابعة. فالإخلاص هو الدافع الحقيقي للإنسان لكي يثابر ويكابد ويكسر العراقيل مهما عصت وصعبت، فأنت تراه لا ينكسر ولا يهزم، بل تراه يرمي بكل ثقله ليمضي قُدّما، ولا يأبه ، فرجلاه مبسوطتان في الحاضر، وبصرة نافذ إلى المستقبل لا يزيغ عن هدفه ولا

يستكين. والمتابعة، أي اتباع من سبق من أهل الفن مما أصّلوه من أصول وقوانين وسنن، لا ما أبعوه من أعمال وإنجازات فالتقليد في كل الأعراف مذموم وإن كان تقليدا للكبار فلن يدفع ذلك الذم قدر قذة (وهي مستصغر الشيء).

ولعلّي، أذكر كلاما يستخفّ به من مارس هذا الفن وغيره، لكن ما ذكرت هو مفتاح النجاح، والشفرة (أي كلمة السر) التي تلج بها إلى عالم الإنجازات ودنيا الخلود (الناس موتى وأهل العلم أحياء)، أما التحصيلُ و التعلُّمُ، فهما مقيّدان بالإرادة والصبر وما يسر الله للعبد أن ينبغ فيه وما المثل العربي عنكم ببعيد " ما طار طيرٌ وارتفع <<<< إلا كما طار وقعو الله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله

هذا أوبي..

ها هي سماء أفكاري تتلبد من جديد ، لتمطر أرض الأدب بـ "خربشة جديدة.. "

لست متأكدا .. إذا كانت ستقصدني .. بوابل الكلم هذه السحب .. لكن سأبقى

متفائلا .. إلى حين تمطر!!

ربما أنا الوحيد في تلك الأرض الذي يعشق شتاء الحب!!

ليس فقط لأنه يجمد الشعور ، بل لأنه يريح القلب من عبث أصابع الغرام به..

قد لا تصدقوني لو قلت لكم أنني لا أملك مطّرية ، ولا حتى معطفا غراميا..

يكفيني كرجل أن ألتحف بعواطفي ، فهي تقيني من حر الأشواق و زمهرير الجفاء..

ولا أقول أنني لا تخترق ..

ما أحلى أن تعيش الحب بفصوله الأربعة..

لكن قمة الإستمتاع هذا الفصل الذي يخافه الجميع وععع "شتاء الحب" أو بعبارة أكثر مباشرة "مأثم الحب" أين نرى بأعيننا الحب وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وهو يحاول أن يبعث بآخره وصاياه لكن الردى يسبق كل محاولة يائسة .. حتى هذا الأمر المؤسف أصبح يضحكني وأنا في قمة الأسى و قبة الأسف..

هاهي بقايا آخر غرام هنا في زوايا القلب وجدرانه .. تدير شريطا للذكريات إلى الوراء..

ترينا لحظات حميمة اعتقدنا لوهلة أنها خالدة .. أوف .. لا خالد إلا الألم..

لأن اللحظات الجميلة .. لم توجد في عمرنا لكي نشعر بالنشوة معها .. بل لتذيقنا حسرة .. بعد فقدانها .. ولنتجرع مرارة كل ما ضيّعنا من خلال كل ما فات من تلك اللحظات..

رغم أن القلم ، أصبح مثقلا بهمومنا ، إلا أنه لازال إلى جانبنا يترجم آهاتنا وبلابلنا ، ويحاول جاهدا أن يخفي ملاكحنا البائسة وهو يرسمنا بألوان وردية ليسري الأمل إلى تلك الوجوه مرة أخرى .. لكنه عبثا يحاول .. لأن الأسى والقهر ضرب بجذوره

في أعماق الروح و نشر أورامه هنا وهناك .. ليحكم سيطرته على سائر الجسد ..
والروح معا..

فدامعنا من فرط البكاء .. جفت كل ينابيعها .. ينابيع كانت تغسل جروحا ..
حفرت عميقا بمشرط الغدر .. فالعين اللحذة تعتصر وتعتصر .. والقلب كذلك يتبعها
..

فهل يعقل أن أمضي كل ما بقي من محطات في حياتي ، في التيه والضلال!!

أين كل تفصيل حالك حلقة الليل البهيم ، يشعرني وكأني أرتدي نظارات سوداء
قائمة..

فالوحيدة التي كانت تلون حياتي بأصباغ السرور .. كسرت ريشتها وتنكرت لما كان
بيننا..

فقبلاتي ليس بمقاس شفيتها ، وأحضاني لا تتسع لرقعة أشواقها .. سأظهار كأني لا
أبالي .. حتى يخرج دخان حيني ليفضخي بأني أحترق في داخلي .. بجمر العشق
الذي لا يخمد لهيبه .. فهو يتخذ من أضاعي حطبا ليشبع السنة النيران..

لا زلت أضحك .. لأن فرط الألم .. شجّج كل مجسّسات الإحساس .. فأصبح لا
أشعر إلا بدغدغة طفيفة .. ودنو منية..

فمتى تمكن منّي التعب ، أجاور أديم أرض الأدب مستقبلا وجه سماء الفكر ، التي
تجود بكل ما تملك لأفرغ مكنونات خبّأتها في قيعان فؤادي ...

• • •

الطريق من هنا

مصيبتنا في الحياة، أننا نمشي بلا أهداف، نطفئ أنوار الأمل و نمشي في حلقة الضياع بلا مرشد ولا دليل..

و نطمع أن يوقد أحد ما شمعة ليؤنس وحشتنا ، أو على الأقل قبسا نهتدي به إلى مرسى النجاة والنجاح .. لكن عبثا نحاول، وعبثا نتوهم .

فأعظم أخطائنا وأوخم أغلاطنا ، أننا نزيد في الهوة وبعد المشقة بين العلم والعمل، و ندوس بنعل الجهل على كل دروسنا وأخلاقنا ومبادئنا، بل نطمس في سماء النصح كل نجم يأخذ بيدنا إلى نور الهداية..

لعل قانون المرور في الطرقات بخيل لدرجة أنه يسمح لواحد فقط بالمرور وبعد التالي...وهكذا فيضيء أحمرًا لهذا و أصفرًا لهذا وبرتقاليا لذاك .. ومن يخترق هذا القانون يضرب بيد من حديد ، إلا أن قانون الحياة مختلف كل الإختلاف بالنسبة

إلى ما ذكرنا ، لأنك أنت من تصنع أضواءك لا لتسمح لك وتمنعك المرور بل لتتير
دريك..

فالأحرى بنا أن نتطلع لمستقبل ساطع ونتدرج في سلم الطموح حتى نصل إلى
المبتغى، وأن نمشي بخطوات ثابتة نحو النصر.. فالهزيمة من شيمة الضعفاء ،
والإستسلام يأتي من هزلة الإعتقاد بالنجاح..

فمن يعيش دهرا ولا يرى صباحا مشرقا بالأمل و دربا موصلا للنجاح فهذا شخص
ميت ، و بقاؤه على قيد الحياة ما هو إلا لكي يرى نفسه وهو يعذب مرتين : مرة
لأنه فشل ومرة لأنه لم يزل عنه الفشل ..

• • •

(ثورة نوفمبر) أمجاد.. لا تنطس..

ربما لاحظ الكثير ممن يقرأ هذا المقال، ما يروج هنا وهناك ، سرًا وجهرا ، خفية وعلنا، وذا تتبعت بحس المحقق مصادر هذه الترهات ومنابع بث تلك الإشاعات لوجدتها أصابعا فرنسية بجثة..

أصابع قللأسف تحرك ضعفاء النفوس من بني جلدتنا من يتكلمون بالسنتنا ويقاسموننا ملحنا وخبزنا - تحركهم لكي يطمسوا فخرهم وفخر آبائهم ، ليس هذا فقط بل ليصبح صنيع أجدادهم مزحة ومسخرة..

هل هذا ما يستحقه شهداؤنا الأبرار مقابل تضحياتهم الجسام، حيث تركوا الأهل والمال والولد وألقوا بأنفسهم في غمار معركة لا يُعرف من المنتصر فيها من المهزوم. أولئك الذين تحدّوا العالم برمّته والمنطق معا آنذاك اللذان كانا يقولان ساخرين منهم : "شرذمة قليلون!! معساهم يفعلوا أمام فرنسا العظيمة!! لن ينالوا شيئا منها ولن يقدروا حتى على خدشها."

فأعلنوا الجهاد (وكان جهادا مبنيا على قواعدٍ إسلاميةٍ) من العدم بل وتحذوا كل الظروف والإمكانيات التي لم تكن لصالحهم، كسروا كل العوائق التي وقفت حجرة لتقدمهم ليدركوا شمس الحرية..

ما لم يكن في الحسبان، وما لم يكن متوقعا هو أن يجتثوا بمعول الإصرار والمثابرة والجهاد الدؤوب والمصابرة الإستقلال ، ولم يستكينوا ولم يضعفوا للإغراءات الفرنسية، لم تغرهم لا المناصب الموعودة ولا الأموال المشهودة.. كان حلم الإستقلال يغزو تفكيرهم ويغشي أبصارهم.

فشعارهم آنذاك "إما النصر وإما الشهادة."

فاستشهد من استشهد منهم ونجى من نجى منهم، وكان اليوم الموعود يوم الخامس من جويلية من سنة 1962، يوم تتويج العذراء "الجزائر" بتاج الإستقلال، التاج الذي لا تزال جزائرننا ترتديه رغم الجراح ورغم الألم ورغم ما يكيد لها أعداؤها من الخارج والداخل على حد سواء.

• • •

إبراهيم الفقي..

هنالك أناس يموتون ولا نشعر بفقدانهم ولا نكاد نذكرهم البتة ربما لأنهم لم يتركوا ما نذكرهم به.. فموتهم ينقطع ذكرهم وتنطفؤ شمعته..

لكن بالمقابل هنالك أناس آخرون يموتون ولا يموت ذكرهم ولا تموت ذكراهم لأنهم يعيشون في ذواتنا ، يتخللون أرواحنا ، يمتزجون بأفكارنا وأحلامنا .. أتدرون من هذه الطائفة يا ترى؟؟؟

إنهم بكل بساطة العلماء.

قال علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه:-

ففز بعلم تعيش حياً به أبدا *** الناس موتى وأهل العلم

ولا نشك أبدا في أن إبراهيم الفقي كان من هؤلاء العلماء الأفاضل: ذلك العالم الفذ

الذي ظل يناضل من أجل أن يسوق البشرية إلى مستقبل أفضل ، ولطالما حاول

أن يأخذ بيدنا إلى مرسى النجاة .. من خلال كتبه ومحاضراته وندواته التي كان يلقيها هنا وهناك .. فلا ينكر فضل ذلك العلم إلا جاهل أو حاقد!!

فأنا -والله على ما أقول شهيد- من هؤلاء الذين إستفادوا من كتبه وعلمه في مجال التنمية البشرية والبرمجة اللغوية العصبية حيث كان فريدا في هذا المجال لا يكاد يشق له غبار فيه وما زاد في إحترامي لشخصه أنه كان يروي في أغلب الأحيان تجاربه الشخصية وكيف أنه عان الأمرين في حياته خاصة عند هجرته إلى كندا وحتى بلوغه سقف الشهرة والإبداع لله دزه..

فإبراهيم الفقي جاء في وقت كنا أحوج ما نحتاجه أن نجد من يأخذ بيدنا لنكتشف ذواتنا ؟ ، ولنكسر قيود اليأس التي تطوقنا والأغلال أغلال الضعف التي تخنقنا .. من خلال كتابه الشهير "التحكم في الذات" وبعدها تحفنا بكتابه "الطريق للنجاح" حيث عاد من جديد واطر لنا الخطوات لرسم خارطة النجاح والسير إلى الهدف المرجو بطريقة سهلة ومبسطة تدل على تأمل عميق وتدبر .. فبدأت تتغير حياتنا نحو الأفضل بل أصبحنا قدوة لغيرنا من خلال تطبيقنا لحكمه ومواعظه ، فسرنا بخطى ثابتة نحو النجاح إلى حين كتابة هذه الفقرة..

ومن قرأ أو سمع لإبراهيم الفقي يظهر له جليا وازعه الديني وأنه يكثر من إستعمال الآيات والأحاديث ليثبت حقائقا علمية ودراسات نفسية وهذا في كتبه كثير وفي مواضع عدة..

وفي الأخيرة أقول : أن إبراهيم كان سراجا أثار دربي ولا يزال ينيه ولن أنسى فضله علي بعد الله عز وجل وسأدعوا له متى تذكرته وسالف العلماء الأخيار إنا لله وإنا إليه راجعون.. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته..

• • •

فتات ذاكرة

الحبّ.. ذلك القارب الذي بمجذافين لو توقف أحدهما لدار القارب في مكانه.. كذلك
الحبّ..

الصداقة.. ذلك المغناطيس الذي يجذبنا نحو من نغز.. ويدفعنا للعودة حتى بعد
الهجر الطويل.. تلك هي الصداقة..

العفو.. تلك النسمة التي تهب على ربوع القلب لتجعله سمحا طيبا.. رحما
مشفقاً.. هذا هو العفو..

الحنين.. تلك النار التي تشعل فينا حب الأشواق.. وتوقد بشره أشرطة الذكريات
.. وتجدد الماضي ليغدو حاضرا ومستقبلا.. هذا هو الحنين..

الفراق.. تلك المقبرة التي نوّد فيها آخر شعور جميل.. و بكفن لا حنوط فيه..
مقبرة عميقة جدا كعمق جروحنا أو أعمق.. ذاك هو الفراق

الحقد..هو ذاك الظلام الذي يغشي أبصارنا وطمس بصيرنا .. ويطفؤ فينا كل قبس
مغفرة .. و يجيي فينا براعم الإنتقام والكراهة .. ذاك هو الحقد..

الشك .. هي تلك الدوامة التي تدور وتدور .. وتقلب الأمور .. تلبس الحق
بطيلسان الباطل وتلبس الباطل ثوب الحق .. لتصير من حقيقتنا وهما.. ذاك هو
الشك..

• • •

هو .. هي .. من المذنب؟؟

لا يَنفكُ أيّ من كلا الجنسين بإلقاء التُّهم والتراشق بالذمّ بحق وبغير حق؛ وما السبب في كل ذلك إلا جهل كل طرف بالآخر، فالمرء أول ما يفعل حين يصدر أحكامه هو ان يتعجّل الحكم دون بينة ولا تحرّي..

فهلّا عرفت يا "أنت" وهل عرفتِ يا "أنتِ" ماذا تُريد "هي" وماذا يُريد "هو"؟؟
أم هي ضربة لازب!!

إن قراءة ما بين سطور كلام المرأة ، والإطلاع على خفايا شعور الرجل، ليعدّ مفتاح قلب الرجل والمرأة؛ فالمرأة تضمّر في كلامها الكثير من الرسائل للرجل فلا يُخذ كلامها على المباشرة، بل يجب تتبع الإشارات التي ينطوي عليه الكلام، وقد تكون الإشارات في إحمرار خد أو غض بصر .. والرجل ينكر تورطه و تعلقه بالمرأة، فهو يحاول ما حيي أن يخفي كل ما يبعث في المرأة بأنّه ضعيف محتاج إليها..

ولعل أبلغ ما قيل في هذا المعنى قول الشاعر:

إشاراتنا في الحبّ غمز عيوننا = وكل لبيب بالإشارة يفهم

حواجبنا تقضي الحوائج بيننا = ونحن سكوت والهوى يتكلم

فأنت ترى أن الأذكياء من الناس من يهنؤ بحبيب، فليس كل ما يُعرف يُقال، فإنه يجب أن تسعى كل طرف لاقتناء سعادته، ويهيأ لها أسبابها، والحب أخذ وعطاء وحق وواجب، ومادام كل زوج هو ثنائية متكاملة ليس يُشبه فيها كل طرف الآخر بل هما متفاوتان في الخلق والأخلاق و في الطبيعة العاطفية والغرائزية .. فإذا غضب هذا حلمت تلك .. وإذا أخطأت تلك عفى وصفح هذا .. وإذا طلبت هي لبي هو .. وإذا قال هو أنصتت هي .. أفبعقل أن نجمع بين المتناقضات ثم ننتظر النتائج الحسنة .. وكيف لا يحدث الخلل، قال أبو الحسن التهامي:

ومكلف الأيام فوق طباعها = متطلب في الماء جذوة نار

والحمد لله أولا وآخرا ..

عيد المرأة

في فصل الشتاء .. توقيت مهم و اختيار عمدي!! ..

منذ زمن ليس بالهين، تيقنتُ أنّ كل بضاعة ثقافية مستوردة من الغرب هي قنابل موقوتة لا تلبث أن تنفجر .. إلا أنّ انفجارها لا يسمعه سوى الناهيين من أولى الألباب، وهل هنالك أعتى و أشدّ من هذا الغزو الثقافي الذي ولج البيوت حتى أدرك خدور النساء!!

ولما كان فساد الذائقة هو أصل فساد التمييز الحاصل، أصبحنا ندعن بالجودة لكل ما يرح من سلع فكرية كما استوردنا قبل أيام مناسبة "عيد الحب" ها نحن نستورد مرة أخرى مناسبة "عيد المرأة"، وما دام الأمر خرج عن نطاق السيطرة وأصبحت عندها أبواق الباطل تعلق على صرخة الحق كان حريا بنا أن نقول كلمة الحق إبراء للذمة.

أولا المرأة التي دنسوها بكل شكل و بصموا فيها بالأصابع العشرة و غرروها بالحرية و قوة الشخصية و القدرة على تسيير الرجل و و و ، و نزلوا بها منازل الفساد و مصارع الإستعباد و معاطب الرذيلة : أنشئوا لها -وأخيرا- عيدا!

فلو أقاموا لها مأتما لبسوا له كل أسود لكان تسلسلا منطقيا للأحداث و نتيجة منطقية لمسلسل النكبات تلك، لكنك في عالم المتناقضات فأمسك بطبك فيما يحدث من أحداث و يُبثّ من مشاهد.

إذا هي وردة حمراء، في يوم أسود في شهر بارد في سنة تتراكم في حصيلة نكسات المرأة على مستوى عالم أصبحت فيه المرأة، النفط البشري، الذي يعتبر السلعة الأكثر مبيعا و الأكثر طلبا في سوق الرقيق الأبيض كما تسميه الصحافة.

إذا هي وردة حمراء، في يوم أسود في شهر بارد من سنة تتألف من أكثر من ثلاثمئة يوم، حصرنا فيها اهتمامنا بالمرأة وباقي الأيام ماذا ؟؟ نسيان واستهتار واستعباد!!

رغم أنني لستُ في اللباقة رجلا لامعا، لكنني أنادي إليها وأصرّ عليها، فالمرأة عندنا هي أحوج ما تكون لهذا الجاني الرومنسي في الرجل؛ فليس شيء أخف على القلب من نسيم الصباح كوقع الكلمة الطيبة في قلوبهن، فتجربتي المتواضعة في محاولة فهم ردود فعلن أثبتت أنّ المرأة حساسة مرهفة الشعور، ربما معقدة الفكرة شائكة التعامل، لكنها تبقى حريرية المعدن خفيفة الظل مأوى الرجل و مرسى همومه وأحزانه.

المرأة عندي، هي وقود الإلهام لمحركات الفكر والأدب جميعا، فأنا أكتب بها ومعها ومن أجلها و لأجلها، فأنا بلا امرأة كنتك الزهرة التي كانت تتباهى بعطرها ، فلما فتر عطرها لم تجد ما تتباهى به سوى أن تقول : "كان لديّ عطر في الأيام الخوالي" ..
المرأة عندي ذلك الحلم الجميل، الذي رسمته ريشة الفكر إذ مزجته بتلك الألوان الزاهية للأنوثة والرقّة والعدوية، فتراه مجسدا كأنه انعكاس الفكر على مرآة الواقع، ليس لشيء سوى لأنّ المرأة معجزة حقيقية.

• • •

إغتيال البراءة

بدأ بشيلاء ، هارون ، ابراهيم .. من التالي ؟

في زمن مليء بالمضحكات، مليء بالمبكيات ، عامر بالمتناقضات، في زمن أصبحت العجائب السبع شيئاً عادياً ، صنع له أهل زمانه عجائباً أُخرً..

كان الجاني بالأمس القريب يترب جيباً فيه محفظة أو حقيبة يد بها نقود، ثم مضت الأيام وكثرت متطلبات الحياة وطغى الشجع وفسدت الأخلاق وطُمست المبادئ وعاث المجرمون في البلاد فساداً .. لم تكفي تلك النكسة (الإرهاب) هذا الشعب المسكين لتجرع كل أسباب الشقاء والمهانة، وزلزل في مأربه وحرّم من أبسط أسباب العيش "الأمن".

قد يعمي الغضب بصيرة إنسان فيقبل على أذى أخيه الإنسان، لكن إذا نُزعت الرحمة من قلبه فقد يُقبل على شرٍ كبيرة: إلا وهي القتل فيقتل إخاه الإنسان! لكن إذا

تعلق الامر بالطفولة التي هي رمز البراءة فاعلم أنّ الإنسان خرج على نطاق البشر إلى البهيمية إذ سلب الإنسانية والعقل والقلب جميعا..

بدأ بشيماء التي قطعت إربا إربا، وإبراهيم وهارون اللذان فُرغا من أعضائهما و .. فلان الذي لم نسمع وعلان الذي لم يجدوه .. وكيت وكيت .. هل هي حوادث شاذة أم هي ظاهرة ولدت من رحم الأحداث ولادة قيصرية من رحم المجتمع الفاسد؟؟؟

إنّ هذا الشر أو ما عنونته به مقالي "إغتيال البراءة" لهو شرٌ مستطير، وما خرجت من صمتي الذي دام أسايحا كثيرة إلا لأصدم بما في نفسي تنديدا لهذا العمل الإجرامي الحيواني الدموي البشع .. ولقد مرت بنا الأزمات فكثرت نسلى (أي نتخذ سلوى وهي ما ينسى عند المصيبة) بما هو أوحش، حتى صكّت آذاننا أخبار قتل الأطفال: بدافع الغريزة أو الإجرام أو ما هو أفضع المتاجرة بالأعضاء البشرية؛ وأيّا كان السبب الذي تندرج تحته الجريمة فالنتيجة واحدة هي "إغتيال البراءة!"

وما دامت الظاهرة في نفاسها (كما ذكرتُ في الفقرة السابقة) فعلى المسؤولين وأدّها في مهدّها ودحضها بكل وسائل القمع، والكيد للسفلة الذين سوّلت لهم أنفسهم الهابطة الدنيئة أن يقدم على هذا العمل المستشنع في كل الأديان السماوية وغير السماوية.

قال الله تعالى: "من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا"

وقال أيضا: "وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص"

وما انتشرت ظاهرة القتل عموما وقتل الأطفال الأبرياء العزل،؛ إلا من إهمال تطبيق الأحكام على المجرمين بإظهار العفو فيما هو حكم لا يقبل التسامح وأختم بالحكمة التي تقول:

"من أمن العقوبة أساء الأدب"

رحم الله كل الضحايا وألهم ذويهم الصبر والسلوان و عاقب الله من كان السبب
بجكمه..

• • •

أيتام يملكون آباء!

أي بالله عليك .. أخبرني :

هل كنت كفارة ذنب لم يُعْتَفَر ..

أم كنتُ قمامة رحمٍ ملعونة ..

خرجتِ للدنيا مخرج البشر ..

أي هل أنت بشرٌ،

أم أنك صنمٌ قدّ من حجر ..

أي بالله عليك .. أخبرني :

وأنت قرير العين ..

ألم يصلك أنيني في الصحر ..

وأنت مرتاح البال ..

ألم تصكّ أذناك آهات طفلٍ يحتضر ..

أبي هل أنت بشر أم أنك صنمٌ قدّ من حجرٍ ..

{إلى روح كل من عانى أو كان ضحية العنف الأسري أكتبُ هذه الكلمات..}

قال الله تعالى: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا .."

الأولاد زينة هذه الحياة، ومتعة ليس بعدها متعة، ورزق يُرزقهُ المرءُ كما يرزقُ

الصحة والمال والعافية؛ زينة ومتعة و رزق لكن أكثر الناس لا يعلمون !!!!

كما للأولاد حقوقا اتجاه أوليائهم فلاوليائهم واجبات عليهم، معلومة غير مجهولة،

يعرفها القاضي والداني والكبير والصغير و العالم والأمي؛ بل قل إنّها فطرة يُفطر المرء

عليها فتكون في جبلته كالغريزة لا ينفك عنها فمن عُدِمها فقد عُدِم الإنسانية جميعا

وعندها جد له صنفا غير صنف البشر، فانسبه إليه !!

لم تمض أيام على قراءتي مقالا في الجريدة اليومية: يحكي عن قصة فتاة معاقة توفيت

والدتها فتزوجت والدها بامرأة أخرى، فكان في نفس الزوجة الجديدة شيء ضد

هذه الفتاة الضعيفة، فبتخطيط من الزوجة وبتنفيذ من الزوج كان يربطها في

الشرفة بعد أن يذيقها ألوانا للعذاب من ضرب ولطم و قل مثل ذلك .. ! مضت الأيام فلم تطق الفتاة ضنك العيش وحنق الجوع فتوفيت -وأسفاه- في قيدها فما كان من الوالد إلا أن ذهب بها ودفنها في مكان قريب.

لاحظ الجيران هذا الخلو، وانقطع الصراخ والشجار الدائم في بيت هذه العائلة، فاتصلوا بخالة الفتاة، على أن يستفسروا عن حالة الفتاة المقهورة الكسيرة، فلما قدمت الخالة لتطمئن على ابنة أختها أُخبرت بأن الفتاة ماتت ودفنت بكل برودة أعصاب.

لم يعلق هذه الخالة القصة وشعرت بأن فصولا كثيرة قد حُذفت من القصة الملفقة، فطلبت مكان الدفن فدلت عليه، فبلغت السلطات المعنية بشكوكها فنبش قبر الفتاة و قدّم للتشريح والمفاجأة:

جسدٌ ليس فيه موضع أصبع إلا وفيه كدمات الضرب واللطم .. و آثار الجوع والعطش وما خفي يعلمه الله .. !!

حُوّل كل من الزوجين إلى التحقيق، واعترفا بجريمتها .. الزوجة فهمنا شعورها،
فالفتاة ليست ابنتها وإن كان هنالك مصوغ للغيرة فأين مسوِّغ الجريمة و لكن الأب
-لا وفقه الله - كيف له أن يقدم على النيل من ابنته من أجل زواج ثان و زوجة
جديدة !

أين شعور الإنسانية أولاً وشعور الأبوة ثانية وضمير المرء ثالثاً ورابعاً .. إن الرجل
إذا رزق وليداً يبعثُ الله في قلبه الرأفة والرحمة والمودة ليحفَّ ابنه بالعاطفة
والحنان الكافيين .. وتراه يعدّ الأيام والليالي إلى أن يدرك ذلك اليوم الذي يسمع فيه
تلك الكلمة "بابا" .. ثم يطوي الأيام والسنين ليرى ابنه حاملاً على عاتقيه المحفوظة
متجهاً إلى المدرسة، ثم تمضي السنون ليراه قد تفوق على أقرانه و نال الشهادات ..
ثم ينتظر بفارغ الصبر أن يدركه ليراه زوجاً ثم أباً ثم ..

لكن هذا الأب اللعين لم يقتل ابنته فقط بل قتل البراءة بيديه النجستين، وأيا كانت
حالة الفتاة معاقة أو مجنون ، فشعور الأب فوق كل هذه الأعذار، فوق كل هذه
الترهات فوق كل الاعتبارات ..
رحم الله كل طفل وطفلة وأسكنتهم فسيح جنّاته..

أنا خلف ستار الأنا

لكم هو ثقيلٌ على النفس أن تتكلم عن ذاتها، وأن تصف خوالجها وتبثها للناس، ولو كانت تلك أشياء تُرى و يفحصها غيرنا بدون واسطتنا لك َفَتْنَا هذا الحِمل الثقيل الذي نُكابده.. ولكن هيات فما لا يكون الواجب إلا به فهو واجب!

وأول ما أبدأ به هو الكلام على ما يُنلج صدري و يبعث فيّ بشرَ السُرور: هو سؤال أحبائي عَلَيَّ، وهذا في زعمي شيءٌ له قيمة وقَدْر؛ فالأحباب -على كثرة عددهم- معادن كمعادن الذهب والفضة، ولا يَسْتَوون بل يَخْتَلِفون على قَدْرِ الحَبِّ والإخلاص وليس المقامُ يَسْمَحُ لَبَسِطِ الكلام في الصداقة والأخوة ومعاني كلا منها.

ولقد لاحظت أنني أسعد بالخير ينال من أحب كأنه ينالني شخصياً، فأفرح لأحبابي على حَظِّهم الوافر كأني حَظِيْتُ وكَفَيْتُ، وما غَبِطت أحدا على مال يكسبه أو مادة يُعطاها بقدر غِبْطتي أهل العلم والفهم والحكمة على هذه الهبة وعلى هذا المكتسب!

لقد عرفتُ نفسي أول ما عرفتُها طمُوحاً من غير اقدام، ومتأهباً للخوض من غير عزم، ولقد شتتتها بين فنون كثيرة، فلا الفن الواحدة أخذت ولا الفنون الأخر تركت، فعبتها على أنّها عُدت الاختصاص و بعثتُ شتات قوتها في جهات متفرقات، ولن أنكر أنّ هذا أضفى عليّ ثقافات مختلفات؛ لكن، موسوعية مع اختصاص أحسن بل هو الأمثل.

ولقد اكتشفت نقطة ضعفي ووهني، هو أنّي لا أثبت على حال! وإنّي لأمضي اليوم واليومان ومرات الأسبوع والأسبوعان في شحن قلبي بالعقيدة الساطعة والأدلة والبراهين القاطعة على أن يستقيم قلبي ويُزهر بالإيمان لكن هيات هيات فلا تمضي الساعات حتى تتفتق أخايد العصيان فتبتلع معين ما جمعت في كل تلك المدّة!

ولو شدتُ أن أختبر صبري وأناقي، فليس لي سوى الكتاب أفتحه بين يديّ وأجعل حدود بصري في حدود صفحاته، وأتابع سطورهِ وكلماته؛ وما إن ترجع إليّ روعي حتى ألقيه جانبا وأعود لسفاسف الأمور من هذه الدنيا ولا أتذكره حتى

ينساني ولما أجدد العهد أجد أنّ آخر عهدي به قد عفى عن الذاكرة ولم يبق منه
شيء!!

• • •

كل حزب بما لديهم فرحون...

كلمة أوجهها لصديق ودود، و جار عزيز، جمعنا القدر تحت سقف المحبة=رغم اختلاف توجهاتنا الفكرية اختلافا قد يكون متباينا كلّ التباين=، إذ جرت بيننا نقاشات حول "العمل الحركي" بالانتساب لحزب ما بحجّية ممارسة السياسة ودخول البرلمان.

وقد حصلت جلساتُ أدركنا فيها الحديث، بطريقة هادئة، وبألفاظ محترمة كون الطرفين يُحسنان لغة الحوار و التعايش مع الاختلاف، ووجود الرأي الآخر. وقد دعاني هذا الصديق إلى طاولة النقاش =متأبطا حججي = لأضعها أمامه= إذ كان في زمان ليس بالبعيد= مصرّحا أنّه باحث عن بصيص حقٍّ يهتدي به، وأعترف أنّه كان خصما قويا في النقاش لا يستهان بمثله.

وكان اعتراضه على العمل السياسي تحت ظل ما يسمى بالحزب، كان شيئا أرفضه من الناحية الدينية والأخلاقية والواقعية أيضا، فلقد تنابعت الآيات في ذم التفرقة =

التي يُعدُّ الحزبُ أحد أركانها= وتتابع الأحاديث بين الحثِّ على توحيد الكلمة ولمَّ الصفوف ، وبين نبذ الفرقة والتشتت.

أمَّا في الإطار الأخلاقي، فقد قيل قديماً "إياكم وخضراء الدمن"¹ ويعنون بها المرأة الحسنة النابتة في منبتِ السوء.

ونحن لا نرى الحزب إلا كهذه المرأة، التي نبتت في منبتِ كلِّه سوء من مكر إلى نفاق، إلى دسيسة إلى مؤامرة... وهلمَّ جزاً.

وما بقي فيشهد له الواقع، بأنَّ هذه الأحزاب، جلبت على الأمة شرّاً مستطيراً، وأثراً باق إلى حدِّ الساعة: ففرقت الكلمة، وغرست الأحقاد، وشتت الشمل، وهذت² في النفوس معاني الأخوة والتعاون على البرِّ والتقوى.

وقد صدق من قال:

¹ حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم وخضراء الدمن » ، فقيل : يا رسول الله ، وما خضراء الدمن ؟ قال : « المرأة الحسنة في المنبت السوء » مسند الشهاب القضاعي 860 ولكن لا يصح عنه صلى الله عليه وسلم ومعناه صحيح لمن تدبر.

² هذ بمعنى هدم

إذا ما الجرح رُمّ على فساد = تبين فيه إهمال الطبيب

فالأحزاب صناعة غربية، وإن ارتدتْ أثوابا عربية إسلامية، فإنّها أوجدت لتعيش في ظل الديمقراطية= هذا المصطلح الميكيفاليّ الفاسد الذي يحمل في طياته مكر ودهاء وأغراض تُقضى تحت مسمّى الحرية والعدالة والمساواة= كما تقتات من البرلمان الذي دعامة الرئيسة، بل قل الوحيدة "الحكم بغير ما أنزل الله"، فالديمقراطية والبرلمان و الأحزاب هي ثالث جعل الغرب يرضون عتّا إذ اتبعنا سننهم حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، ولما دخلوا حجر العولمة تبعناهم، والله المستعان !

فالموضوع = كما ترى = ليس طلب الدليل لذاته والمجادلة والمرء فيه، بأي وسيلة تُتاح، ولا إدارة الكلام على عواهنه حتى تُوجد للكلام وجهًا يصلح به كحجة على مرامينا، بل الحجة في الحكم الشرعي، فللكلام العلماء في هذا الباب وزن وقيمة، أفليسوا هم من يستنبطون هذه الأحكام، فمن يظن أنّ كل مسألة فيها دليل صريح فقد ظن المُحال، فهناك ما جاءت به النصوص الصريحة قطعية الدلالة وهناك ما جاءت به نصوص ظنيّة الدلالة، وهناك ما تضاربت فيه الأدلة فيقطع فيها بالترجيح و ما لم يصح فيها دليل فيحكم فيها برأي وبالقياس ..

وربما قد يعترض معترض = لا محالة = في قسوة الحكم على أفراد بأعيانهم ورميهم بالديسة و النفاق و سوء الطوية، فأقول: ليست القضية في الأفراد بل في المنهج المتبع، وليس العيب في الأهداف بل في الطريق المسلك، ف"لن يستوي الظلّ والعود أعوج" كما يقول المثل.

فالأحزاب الإسلامية تدّعي أنّها تنشئ منبرا، موازيا لمنابر العلمانيين، والليبراليين، والماركسيين، وأدعياء التحرير والحرية والعدل والأمانة، إذ تنفخ في بوق كما ينفخون، ومن يعلو صوته يُسمع الجماهير، و يدلي بدلوه، على حسب قدرته على الإقناع؛ ومن يخفت صوته، يصمت صمت الأبكم. فهم بهذه الطريقة يضعون الحق الذي لديهم في ميزان ، قد يشيل أو لا يشيل ، وقد ترجح كفته أو لا ترجح.

والأمر أبعد خطرا وأكبر هولا مما قد تتخيّل، فنعرّج على تعريف الدين أولا، لنرى مدى جناية الأحزاب الإسلامية على الإسلام وأهله.

قال العلامة محمود محمد شاكر³: "ورأس كلِّ ثقافة هو الدين بمعناه العام، والذي هو فطرة الإنسان، أيّ دين كان=أو ما كان في معني الدين=وبقدر شمول هذا الدين لجميع ما يكبح جموح النفس الإنسانية و يحجزها عن أن تزيغ عن الفطرة السوية العادلة= وبقدر تغلغله إلى أغوار النفس تغلغلا يجعل صاحبها قادرا على ضبط الأهواء الجائرة، ومريدا لهذا الضبط= بقدر هذا الشمول وهذا التغلغل في بنيان الإنسان، تكون قوّة العواصم التي تعصم صاحبها من كل عيبٍ قاذحٍ.."

فعلى ضوء ما نقلنا في تعريف الدين بأنه فطرة الإنسان⁴ التي فطر عليها فهو "ليس قواعد عقلية ينفرد العقل بتقريرها ابتداءً من عند نفسه، لأنّ القواعد العقلية مهما بلغت من القوّة والسيطرة لا تستطيع أن تقوم بهذا العبء"⁵ والمانع في ذلك هو أنّ "كل إنسان صندوق مغلق، فيه من الطباع والغرائز والأهواء المتنازعة بين الخير

³ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص31

⁴ وتجد هذا المعنى في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مؤلود إلا يولد على الفطرة فآبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" رواه البخاري 1270

⁵ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص32

والشر، وفيه أيضا من القوّة والضعف، مقادير مختلفة لا تكاد تُضبطُ أحوالها وآثارها، وأيضا لا يكاد يُضبطُ تقلّبها تقلّباً يُفضي إلى الحيرة في شأن صاحبها.⁶

فكيف يصلح أن تقوم طائفة =مهما علا كعبها في العلم الشرعي= بأن تمثل الإسلام تمثيلا صحيحا تحت مسمى "حزب إسلامي" وتجلس جنبا إلى جنب، من يكفر بما أنزل الله ويزدري الإسلام سرا وجهارا، يتفاوضون على المسلمات، ويتناقشون في البدييات، في قوالب الاستهزاء تارة والاستهتار تارة أخرى؛ ضارين بـ"قال الله"، قال "رسول الله صلى الله عليه وسلم- "عرض الحائط، ليس يربطهم شيء سوى المداهنة و المماذقة.

قال المتنبي في معرض هذا المعنى:

ومن يكن ذا فمٍ مريّ مريض = يجد مرّا به الماء الزلّالا

فالمتصدرون لتمثيل الشريعة من الحركيين والحزبيين، أغلبهم لا يعرف من شرع الله إلا كحسوة الطائر، ولا تغزرك خطاباتهم الرثانة و كلامهم المعسول، فمن جهلهم أنّهم

⁶ نفس المصدر السابق ص32

أخلّوا بشرط قبول العمل الصالح⁷ الذين يبتغون به الدار الآخرة -على زعمهم- ألا وهو المتابعة.

ومن له علم =هداهم الله= يجادل بعلمه ليحق باطلا و يبطل حقا، ويجادل في صريح العبارة، ويشكك في جلاء الدليل، بالإتيان بكل شاردة و واردة، يُرمم بها حُججا واهيةً وبراهين ساقطة؛ فلا جرم فلهم أتباع من أصحاب القلوب الضعيفة، و النفوس الوهنة، يُملون عليهم ترهاتهم فيقبلونها كأنّها النص المعصوم، خارجين بعقيدة تقدّس الشخصوس لا النصوص، وهذا في زعمي أعظم الرزايا التي قد تصيبهم.

أين الحل⁸؟

نظريا أقول : الحل في اتباع الكتاب والسنة؛ بيد أنّها كلمة تخرج من أفواه المؤمنين والمنافقين على حد سواء. أمّا عمليا فنقول قولة الراسخين في العلم: "وخير الهدى هديُّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم".

⁷ شروط قبول العمل الصالح إخلاص النية و متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام

⁸ هذا الكلام والذي بعده بقلم أستاذنا الفاضل مراد

فالحل - كما ترى - هو اتباع مُحكم الكتاب وصحيح السنّة وفقاً لمُراد رسول الله؛
وهديّه دلنا على أمرين مهمّين :

-التكليف بتحقيق كلمة "لا إله إلا الله" إيماناً وعملاً، كلّ على قدر استطاعته و
اتساع أو ضيق مساحة سلطانه: الأبُّ في نفسه وأهله، وربُّ العمل في نفسه
وموظفيه، والإمام في نفسه ومأموميه ... وأمّا التمكين في الأرض -متمثلة في الإمارة
التي يسعى إليها المتحرّبون-، فإنّها هبة الله ومنحة منه من أتى بالشرط الذي ذكرناه
أنفاً، ونجدُ تصديق ذلك في قوله تعالى: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى
لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا: يعبدونني لا يشركون بي شيئاً"

• • •

القلم: ترجمان الإنسان

الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله، أمّا بعد:

فقد جرت الأقلام من قديم الزمان على أسطح الورقات، تريق في دربها حبرا أسودا، لتعبر بالبيان الساحر عن خواج النفس البشرية وإرهاصاتها، ومن ذلك كان الأدباء والخطباء والشعراء، وكان أيضا النظم الشعري والنظم النثري.

لم يكن الأدب مجرد كلمات على ورق؛ أو أصوات في الأفواه، بل كان وسيلة الإعلام للدولة و الناطق الرسمي عن الشعب فيها، وتغيّرت متطلبات الحياة واقتصر جهده على الترويج بقراءته و بترديد ما يحمل من حكم إذا تقاطعت مع مناسبة تستحضر معانيها.

إنّ القدرة على التعبير لنعمة لا تعدلها نعمة، وهي كفيّة بأنّ ترسم في قلب الألفاظ لوحات حرفية، لكل محسوس وملمس و ما وراء ذلك؛ كما لها القدرة الخارقة في

الغوص في جواهر الأمور غوصا يفتش عن أعماق الخبايا، ووضعتها في قالب وصفي يأخذ بالألباب.

فلا تقرأ «الرحمان؛ علم القرآن؛ خلق الإنسان؛ علمه البيان» دون أن تتدبر في البيان الذي علمه الله عبده، ماهية، ودوره، أساليبه، ووسائله .

فاللغة التي هي المادة الخام لهذا البيان، تعتبر العجينة السحرية التي يستعملها الساحر لكي يبهر المتلقي، فلا يحسن به إلا أن تكون فصيحة سلسلة جيدة السبك متماسكة البنيان، بعيدة عن التكلف والغرابة، وعن التشدق و الهرطقة.

أما الفكر فهي الشرارة التي تفجر المعنى فتكسيه ثوبا حريريا للكلام فيكون أملس على قدر اتقادها ووهجها، وجدتها والإبداع الذي يحتويها، فالأفكار ليست إلا معاني بكاء تحتاج إلى لغة تعبر عنها لتخرج لنا في الأخير منتوجا نهائيا هو البيان الذي نتكلم عنه...

فالكُتّاب = على اختلاف مشاربهم = يتفاوتون من هاذين البابين الواسعين، باب اللغة وباب الأفكار، ولا يكون الكاتب كاتباً مرموقاً في الوسط الأدبي إلا إذا أمسك

بناصيتيهما؛ وإن كُتبا نفرق بين علم الآلة في باب اللغة الذي ينال بالسهر والتنقيب والتمرين و بين باب الأفكار الذي هو وحي أكثر من كونه حصيلة درس يتأتى بالتعلم. وليس أصعب من أن يقف الكاتب عاجزا عن الإتيان بتعبير، عمّا يدور في خالجه من سراب المعنى الذي يحيك في صدره، ويحزّ في نفسه، بل قد يجد في حلقه منه كالغصة، أو كغرغرة الموت، فيكبجه العجز، و يزلزله الفشل من تحت قدميه و من فوق رأسه، وكفى بها مصيبة. ولعلّ اللغة العربية امتازت بخصلة لم تتعدى إلى لغة غيرها أنّ قاموس مفرداتها الغني بالمعاني، في كل تفصيل من تفاصيل الحياة الإنسانية، جعلها تنصدر بلا منازع دكة التتويج بين جميع ضرائرها و خصومها من اللغات الأخرى .

فما دامت ساحة اللفظ فسيحة واسعة، مد البصر، فلازم أن تكون هنالك ساحات للنظم أوسع و أفسح، إذ النظم هو أساليب كعقد اللؤلؤ، مكون من لآلئ لكل منها بريقها، فإذا اجتمعت وحدث ذلك البريق فتضاعف سطوعه حد الانبهار.

لذا لا تتعجب إذا رأيت كاتباً أو شاعراً، يكلم قلمه، أو يحزن لهجره، فترميه بالجنون لهذا.. فالأقلام يراها الكتاب والشعراء، ترجمان الإنسان ولسان حالهم وكاتب وحيهم، وجليسا لا يمل، وصديقا مناخا لا يكل.

• • •

حرية التعبير: هل لها حدود؟؟

قرأت منذ أيام مقطعا لرواية «لن نبيع العمر» للروائية الشابة زهرة مبارك، ولقد أديت إعجابي بقلمها و بطريقة تحكها في زمام الأحداث، كما توّعت بأنّ لها لغة سليمة، بسيطة في تناول الجميع، وهذه أشياء خدمت روايتها بشكل كبير...

لكن الذي فاجأني أنني كنت أقرأ نصا غاية في الجرأة والسفاقة، هتك كل قوانين الحشمة والحياء، وذلك بالدخول إلى خدر الزوجية و إجراء القلم لوصف تفاصيل ما يحدث في الفراش بكل دقائقه الصغيرة والكبيرة. ثمّ ذهبت الكاتبة إلى أبعد من هذا بكشف النقاب عن ظاهرة «اللواط» = هكذا زعمت = و صورت لنا كاميراتها مشاهدا إباحية وإن كانت مشاهد مقروءة تحت مسمى حرية التعبير و كشف الحقائق، و.. و.. و..

ثمّ قالت في تبجح زائد، الرواية حائزة على المرتبة الأولى لأحسن رواية جزائرية لسنة 2011؛ فصفقنا لها و قاسمناها = في صمت = غرورها ..

تلك الأعدار لو جمعت وأضيف لها وسام الاستحقاق ذاك، ووضع الكل في كفة ووضع مضمون الرواية بذفره وخبث رائحته في كفة أخرى لطاشت تلك الأعدار ولن يشفع لها وسام الاستحقاق بنقش ذهبي «حائزة على المرتبة الأولى» !!

إنَّ أكبر خطأ يقع فيه الكاتب هو أن يَنْجَرَّ وراء شَيْطان إلهامه، وشَيْطان اللُّغة، فلا يُنقِّح ما يكتب ولا يراجع ما كتب، بل الأدهى والأمر أنَّه يعاند إذا جُوبه بزله وغلطه، فما يملك إلا المكابرة والعناد! تحت حُجِّية تصوير الواقع، وإطلاق الفكر، وكسر القيود، والتمرد على القوانين الجائرة، مرتديا قناع الجرأة والسفاقة، راميا عرض الحائط كل القيم والمبادئ والتقاليد، غير آبه بحكم شارع (أي شريعة) ورأي عرف ووجهة نظر سليمة!

إنَّ الكلام عن «الجنس» ليس كلاما محظورا على إطلاقه، ولا الخوض فيه من الجرائم التي يعاقب عليها القانون والشرع، بل إنَّ طريقة الكلام هي التي تكون محظورة أو مسموحة على حسب ضرورة الخوض فيها وعلى حسب الهدف من اصطناع الكلام عنها، فخري بالإنسان أولا أن يلمح في التعبير عن ما يريد، تجنباً

للحرج وهذا ديدن العقلاء من قديم الزمان إذ كانوا يكتفون بالتلميح دون التصريح حتى في أمور الدنيا العادية، فقد قال الشاعر:

إشارتنا في الحب غمز عيوننا = وكل لبيب من الإشارة يفهم

حواجبنا تقضي الحوائج بيننا = ونحن سكوت والهوى يتكلم

سأقولها = وغصة في الحلق تخنقني = كان المستوى كذلك = وكل لبيب من الإشارة يفهم = يوم كان للذوق مكان و كانت للهبة سطوة على بني البشر، وكان اللسان يخضع لقوانين الإعراب (أي اللغة) و قوانين الإعراب (أي التعبير)، في الحواضر والبوادي، عند العرب والأعراب!!

كلُّ شاعرٍ يُخزّنُ في صدره طفلاً صغيراً، وكل كاتب يسري في دمه طيش الطفولة ونزق المراهقة، فإذا غلب طيشه ونزقه على رجاحة عقله وهزله على جدّه، لم يكن إلا عبثياً، يتقطع به الرأي، أو قل شرلتانا يضحك الناس، وليس في الأخير إلا ضحكة في ذاته لا فيما يقدمه!!

• • •

فهرس المواضيع

3	مقدمة
7	أين الشاهد
12	شيءٌ من سوادي
14	فتاة قصائدي .. خلاصة كل النساء
20	الطموح : بين سهادير الأحلام و صدمات الواقع!!
24	أنا ، أفتقر لستُ أفتخر !!
26	هل للحب عيد ؟
30	عشقٌ في درجة الغليان
32	تراثنا، ماذا صنعنا به !
34	أصدقاء أم لحظات حميمية ؟؟
37	سرقة أدبية!!
40	الحبّ موهبة وفن!!
42	الصارم المسلول على شاتم الرسول
46	هل نعرف نحبّ ؟؟
48	بحث: عرض المرأة الارتباط بالرجل

- 55 الشعر : منهج حياة وليس رصْفُ الحروف
- 57 تعلم كيف تعامل الأثني
- 61 قصائد منتصف الليل 1
- 62 قصائد منتصف الليل 2
- 64 قصائد منتصف الليل 3
- 65 قصائد منتصف الليل 4
- 66 من يفهمني ؟
- 68 قصة : المجنون
- 73 خواطر مصمم عربي 1: بدايتي
- 79 خواطر مصمم عربي 2: التصميم بين التقليد والتجديد
- 82 خواطر مصمم عربي 3: فلسفة الهزيمة
- 85 هذا أدبي..
- 89 الطريق من هنا
- 91 (ثورة نوفمبر) أمجاد ..لا تتطمس..
- 93 إبراهيم الفقي..
- 96 فئات ذاكرة
- 98 هو .. هي .. من المذنب؟؟

- 100 عيد المرأة : في فصل الشتاء.. توقيت مهم و اختيار عمدي!!
- 103 اغتيال البراءة
- 107 أيتام يملكون آباء
- 111 أنا خلف ستار الأنا
- 114 كل حزب بما لديهم فرحون
- 122 القلم: ترجمان الإنسان
- 126 حرية التعبير: هل لها حدود??

هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة

www.alukah.net